

ربيع الآخر ١٤٤٠هـ
العدد ٥٦
كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨م

هل يجوز تثبيت سعر صرف العملة قبل العقد؟

الشيخ حارث الضاري.. علم من أعلام أهل السنة.. رحمه الله

نداء إلى أهل الثورة

لغة الضّاد هوية الأمة وثقافتها

الواقع والمستقبل

حوار:

الدكتور أحمد علي عمر لـ (نور الشام)

اللغة ليست محضَ أداة تجلٍ للفكر، بل إنها ثقافة وهوية

لإرسال فتوى

تستقبل هيئة الشام الإسلامية أسئلة المستفتين عبر موقعها الرسمي، حيث يقوم المستفتي بالضغط على نافذة (فتاوى) ويكتب سؤاله ثم يضغط على خيار (أرسل)، ليقوم المكتب العلمي في الهيئة باستقبال الفتوى وتحرير أجوبة عنها.



رابط إرسال الفتاوى

https://islamicsham.org/fatawa/register



نور الشام
NOOR ALSHAM

المحتويات



نور الشام ترحب بمشاركتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم..
للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم
nooralsham@islamicsham.org

الافتتاحية

اللغة العربية اللغة المشرفة

"كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم، وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صَرْعَى سحر تلك اللغة..."

المستشرقة الألمانية زيغرد هونكه

ما أصعب الحديث عن هذا السحر الحلال وما أجمله! فلا يعرف الإنسان كيف يعرض البطاقة التعريفية الخاصة بهذه اللغة المشرفة التي صنعها الله على عينه، وشرفها بأن تكلم بها وجعلها لغة سيد البشر وآخر الرسل، إنها اللغة العربية حاملة معاني القرآن ووعاء العلوم العربية والإسلامية، وهوية الأمة وثقافتها، ومجلى عبقريات العرب وشاعريتهم التي جعلتهم يتصدرون المرتبة العليا في البلاغة والبيان، فباللغة ينفعل العربي بالأشياء التي حوله، ويعبر بها عن فكره وقلبه بطريقة لم يسبقه إليها أحد، فكما أن حبة التمر تولد مسكونة بحلاوتها فإن العربي يأتي إلى الحياة وقد وضع الله في فؤاده ميلا إلى الكلمة الجميلة، وفطرة تجعله يدرك البيان الرفيع ويتأثر به.

لقد قدر الله لهذه الأمة أن تبقى بفضل اللغة العربية مسكونة بجمال الكلمة وأناقة العبارة، مما دفع أحد العلماء الأعاجم إلى القول "نثر العرب شعر"، ودفع عباس محمود العقاد إلى تسمية اللغة العربية بـ(اللغة الشاعرة) فعندما يتكلم العربي الفصيح يرسم لوحات فنية بالكلمات، تجعلنا نظن أن من يقرأ العربية كأنما يتجول في معرض فني تختلط فيه الألوان بحركات الظل والنور، لما تمتاز به من فنية عالية، ووفرة في صيغها وخصائصها الصوتية إذ اشتملت على جميع الأصوات التي يمكن أن ينتجها جهاز النطق عند الإنسان. كما تتميز بمرونتها، ففيها الترادف الذي يدل على سعتها، ومنذ القديم افتخر الأصمعي بأنه يحفظ للحجر سبعين اسما، وافتخر ابن خالويه بأنه يحفظ للسيف خمسين اسما، وفيها كذلك الاشتقاق الذي يدل على طواعية ألفاظها.

ولعل أهم ما في اللغة العربية أنها لغة القرآن الكريم والسنة المشرفة، وأن الإسلام يقوم عليها، فأداء الشهادتين يكون بالعربية، ولا يصح أن يقرأ المسلم القرآن في صلاته إلا بها، هذا الارتباط بينها وبين الدين الإسلامي جعل عمر وعليّا وابن عباس يضربون أولادهم على اللحن كما يروي الخطيب البغدادي، وإضافة إلى ذلك فإن اللغة العربية هوية وثقافة وانتماء.

في ملف هذا العدد من مجلة نور الشام نتحدث عن اللغة العربية وميزاتها، وواقعها اليوم، والتحديات التي تقف في طريقها، أملا في أن يكون بصمة إيجابية في سبيل خدمة لغتنا الأم والبر بها.

هل يجوز
تثبيت سعر صرف العملة قبل العقد؟

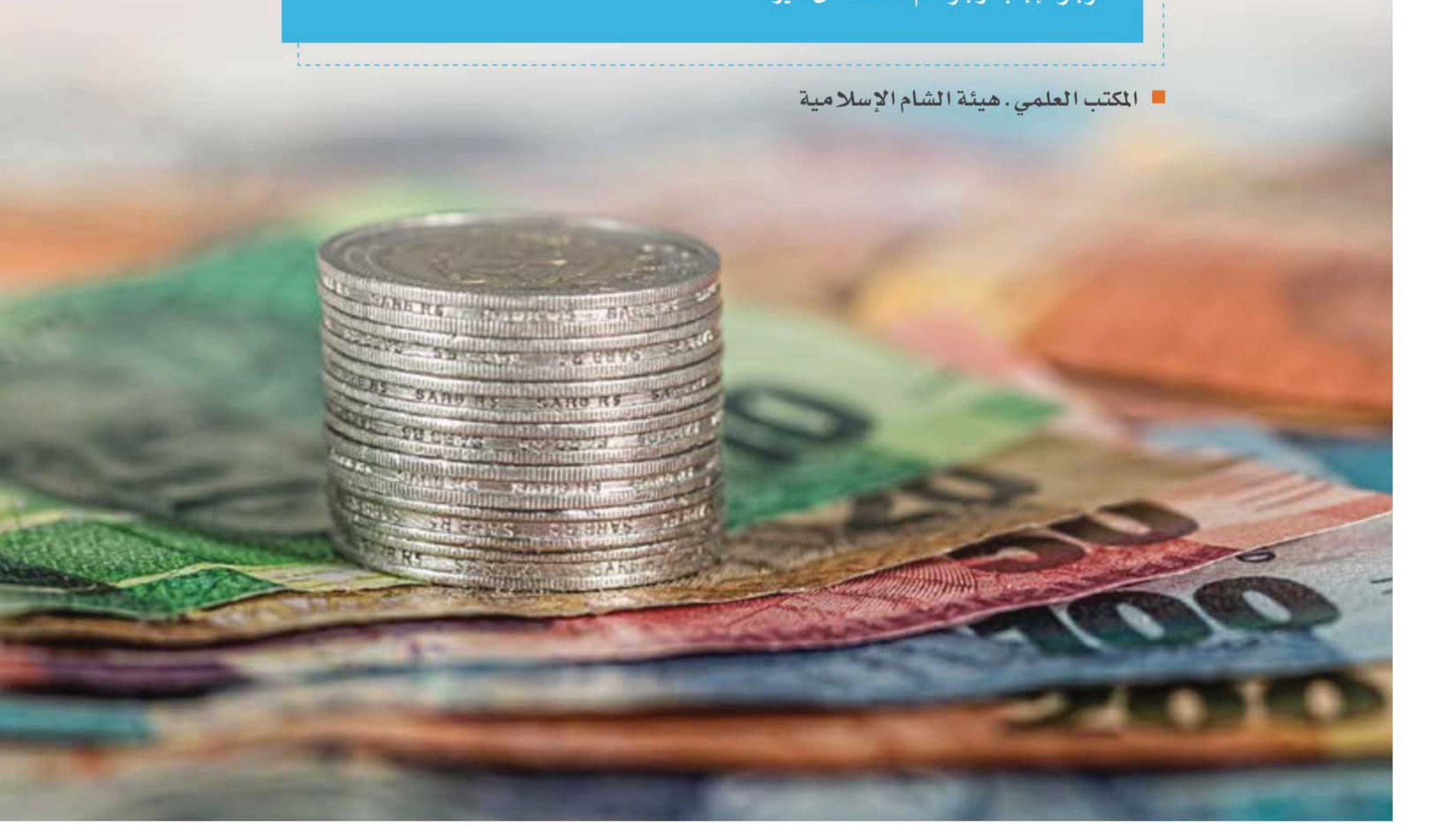
السـؤال:

تعتمد الكثير مِن مكاتب الصرافة وتبديل العملات على تداول الأسعار عبر وسائل التواصل كالواتس أو الاتصال الهاتفي، حيث يتم البيع والشراء بتثبيت الصرف على سعر معين، ويحدد مقدار ما سيدفعه كل طرف للآخر، ثم يكون التسليم في وقت لاحق، وهذا الأمر أصبح عرفًا بينهم وملزمًا للطرفين، لكنه دون تقابض.

علمًا أن الوضع في الداخل يحتاج بضرورة ملحة للبيع والشراء عبر الهواتف؛ لخطورة التنقل بين المناطق بسبب القصف، أو عصابات السرقة، وتجنبًا لاستغلال بعض الصرافين للبائع عند وصوله إليهم بعد مشقة باضطراره للبيع بأقل مِن ثمن المثل.

نرجو الإجابة وجزاكم الله عنا كل خير.

■ المكتب العلمي. هيئة الشام الإسلامية



الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فيُشترط لصحّة صرف العملة التقابض في مجلس العقد، ولا يصحّ الصرف دون تقابض، أو بالقبض من طرفٍ واحد، وذلك مِن الربا، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: بيع "العملات النقدية" بعضها ببعض يُسمَّى عند الفقهاء "الصرف"، ويشترط لجوازه شروط زائدة على شروط البيع المعروفة، ومِن أهمها: أن يتمّ التقابض بين الطرفين في مجلس العقد، بألا ينتهي اجتماع المتعاقدين إلا وقد قبض كلٌّ منهما نصيبه مِن المال المعقود عليه.

قال صلى الله عليه وسلم: (الذّهبُ بالذّهبِ ، والفضّةُ بالفضّةِ ، مِثلاً بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بِيَدٍ، فإذا اختلفت هذهِ الأصنافُ فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيدٍ) رواه مسلم.

ومعنى (يداً بيد)، أي: لا يفترق البائع والمشتري قبل أن يقبض كلُّ واحدٍ منهما ما يخصُّه مِن النقود.

وقد دلّ الحديث على وجوب التقابض في بيع الذهب والفضة، والعملات النقدية تقوم مقام الذهب والفضة.

فإن انتهى مجلس التعاقد دون تقابضٍ منهما أو مِن أحدهما: فالعقد محرّمٌ وباطل، وهو مِن ربا النَّسيئة، أي التأخير والتأجيل.

ثانيًا: تثبيت السّعر في صرف العملات له صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون مِن باب "المواعدة" بين الطرفين على صرف العملة بسعرٍ محدّد، دون أن يعتبر ذلك السّعر ملزماً في العقد النهائي، فهذا لا حرج فيه؛ لأنَّ ذكر السعر هنا للاستئناس بمعرفة الأسعار على وجه التقريب، والعقدُ الحقيقي يكون عند تقابل الطرفين واستلام وتسليم المال.

ويشترط أن يكون السعر المذكور غيرَ ملزمٍ للطرفين، فلكلٍّ منهما الرجوع عنه وتغييرُه، وأن لا تقترن المواعدة بما يدلّ على وقوع العقد أو الإلزام به، كتعجيل بعض الثمن، أو وجود رهن أو غيره.

قال الإمام الشافعي في" الأم ": "وإذا تواعد الرّجلان الصّرفَ: فلا بأسَ".

الصورة الثانية: أن يكون هذا الاتفاق مِن "التعاقد الملزم للطرفين" بحيث يتفقان على الصرف بسعر معين، ويثبت في ذمّة كلّ واحدٍ منها المبلغ المتفق عليه للطرف الثاني، ثم يكون الاستلام والتسليم في وقت آخر.

فهذه المعاملة التي يحصل فيها الانفصال بين "مجلس التعاقد" و"التقابض": يكون العقد فيها باطلاً، ولا يحل القيام به؛ لانعدام شرط المصارفة، وهو "التقابض في مجلس العقد".

ثبت في الصّحيحين مِن حديث البراء بن عازب، وزيد بن أرقم رضي الله عنهم قالا: كنّا تاجرَين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الصّرف، فقال: (إن كان يداً بيدٍ فلا بأس، وإن كان نَساءً فلا يصلح)، ولفظُ مسلمٍ : (وما كان نسيئةً فهو ربا).

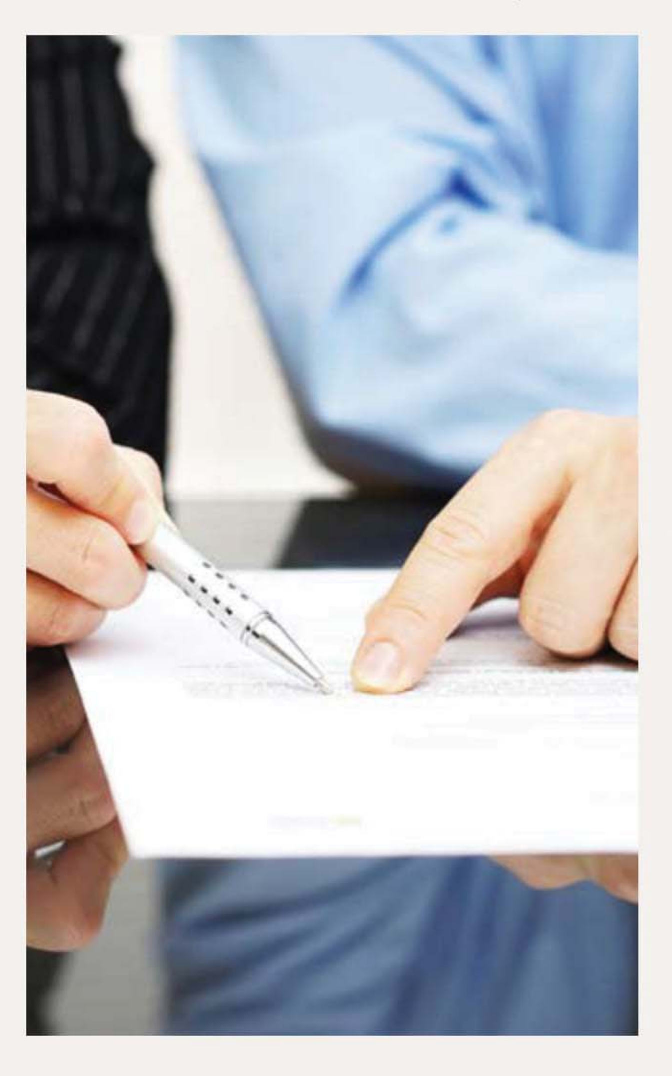
قال ابن المنذر في "الإشراف على مذاهب العلماء" : " وأجمع كلُّ مَن أحفظ عنه مِن أهل العلم على أنّ المتصارفين إذا افترقا قبل أن يتقابضا: أنّ الصرفَ فاسدٌ".

ثالثًا: الطريقة الشرعية للتعامل في مثل هذه الحالات المذكورة:

أن يقتصرا على المواعدة الجائزة فقط، ثم يكون الصرفُ والتعاقد بينهما مع التقابض في مجلس العقد.

أو أن يكون لكلٍّ مِن المتعاقدَين وكيلٌ عند الطرف الآخر، وعند الاتفاق على الصّرف يقوم كلٌّ مِن المتعاقدَين بتسليمِ وكيلِ الطرف الآخر المبلغَ المتفق عليه، فيكون التقابض بينهما قد تحقّق.

والله أعلم.



العملية السياسية بسورية.. بين متاهات اللجنة الدستورية وفخاخ التجاذبات الدولية



محمود عثمان
كاتب سوري

بينما يتم تداول قضية تشكيل اللجنة الدستورية كإحدى خطوات الوصول إلى الحل السياسي في سورية، تتملك السوريين هواجس كثيرة من أن يتحول تشكيل هذه اللجنة إلى إحدى محطات المماطلة لإلهاء السوريين، وتشتيت مطالبهم عن الانتقال إلى دولة المواطنة والحقوق والديمقراطية، ووسيلة لإعادة إنتاج نظام القمع والاستبداد.

بداية، لا بد من الإشارة إلى أن مشكلة السوريين لم تكن يوماً ما كامنة في الدستور. بل هي أعمق من ذلك بكثير. مشكلة السوريين التي دفعتهم للثورة، تتلخص في أنَّ الدولة السورية كلها اختزلت بشخص واحد هو الرئيس، حيث جمع نظام الأسد كافة السلطات في يد الحاكم، فرئيس الجمهورية هو الذي يرأس السلطة التنفيذية والسلطة القضائية، كما أن البرلمان تحت سيطرته المطلقة.

ثمة محاولات خجولة من أجل تحريك العملية السياسية في سورية، فقد دعت القمة الرباعية التي عقدت مؤخراً في إسطنبول، والتي ضمت رؤساء دول كل من تركيا، وفرنسا، وروسيا، بالإضافة إلى ألمانيا، إلى تحريك العملية السياسية في سورية. حيث توصل القادة، بحسب البيان الختامي للقمة، إلى اتفاق على الدعوة لتشكيل لجنة دستورية تعقد اجتماعها الأول في جنيف قبل نهاية العام، إذا سمحت الظروف بذلك.

قيام الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، بإنهاء مهمة مبعوثه العتيد للقضية السورية، ستيفان ديميستورا، تشير إلى نهاية مرحلة، وبداية أخرى على صعيد العملية السياسية في سورية. ديميستورا الذي شرق وغرب، عمل دونما خطة أو استراتيجية واضحة المعالم، فلا هو نجح في مهمته كدبلوماسي من المفترض أن يكون محايداً، ولا هو أفلح في نيل رضى أو قبول أحد سواء النظام أو المعارضة.

من الواضح أن ديميستورا أعطى وعوداً للروس يصعب تلبيتها، لذلك اقتضى الأمر استبداله بموفد آخر، هو الدبلوماسي النرويجي بيدرسون، الذي يملك خبرة جيدة في مجال النزاعات الدولية، بحكم مشاركته في عملية مفاوضات أوسلو بخصوص القضة الفلسطينية.

تشكيل اللجنة الدستورية

لا زال الغموض يكتنف مسألة تشكيل اللجنة الدستورية، حيث نقاط الخلاف بين الدول المعنية أكثر من نقاط الاتفاق. هذا بالإضافة إلى الشروط الأربع التعجيزية التي اشترطها نظام بشار الأسد حول تشكيلها، وذلك في رسالتين بعثها إلى مجلس الأمن الدولي، والأمين العام للأمم المتحدة.

ونصت الشروط الأربع التي حددها النظام على:

– "ضرورة الالتزام القوي بسيادة الجمهورية العربية السورية واستقلالها ووحدتها أرضاً وشعباً وأن لا مكان للإرهاب على الأراضي السورية".

– "يجب أن تتم العملية كلها بقيادة سورية وعلى أساس أن الشعب السوري صاحب الحق الحصري في تقرير مستقبله من دون تدخل خارجي".

– "يجب عدم فرض أي شروط مسبقة أو استنتاجات مسبقة في شأن عمل اللجنة والتوصيات التي تقررها. اللجنة هي سيدة نفسها التي تقرر ما يصدر عنها وليس أي دولة وليس أي طرف مثل المجموعة الصغيرة التي

حددت في شكل مسبق نتائج عملها (لجنة الدستور)".

- "يجب عدم فرض جداول زمنية أو مهل مصطنعة فيما يخص اللجنة. بل يجب أن تكون خطواتنا مدروسة وأن تشبع نقاشاً لأن الدستور سيحدد مستقبل سورية لأجيال قادمة. لذلك يجب عدم الاستعجال".

كما جرت العادة، فإن نظام الأسد لا يرفض بشكل مباشر الاستحقاقات الدولية مباشرة، إنما يقوم بالالتفاف عليها وتفريغها من مضمونها. وكلما كانت هناك خطوة في طريق الحل السياسي، يعمد النظام إلى وضع الشروط والعراقيل في وجهها، متسلحاً بالفيتو الروسي في مجلس الأمن، الذي يحميه ويمنع معاقبته على جرائمه وتجاوزاته.

اشتراط النظام ضمنياً أن تكون له الأغلبية في اللجنة الدستورية، وأن يحوز على حق "الفيتو" فيها، وأن تكون الرئاسة بيده، وأن يمنح حق تعديل بعض مواد الدستور دون كتابة دستور جديد، يعني عملياً رفضه للعملية الدستورية برمتها.

يعول نظام الأسد على الدور الروسي في خلق مسار مواز، يستبعد دور الأمم المتحدة، ويلغي إشرافها على العملية السياسية وفق مقررات جنيف. وهذا يعزز مخاوف المعارضة من تشكيل "لجنة دستورية" تنتج دستوراً لصالح النظام، يسمح ببقاء الأسد في السلطة.

اتفاق سوتشي ما زال على المحك

كما هو معلوم فإن اتفاق سوتشي أبرم بمساعي تركية وبجهود شخصية خاصة من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، بهدف تجنيب مدينة إدلب كارثة إنسانية خطيرة كانت تنتظرها. وفيما يبدو الطرف التركي حريصاً كل الحرص على الالتزام ببنود الاتفاق بشكل كامل، يقوم الطرف الروسي باستخدام الاتفاق كورقة ضغط على تركيا والدول الأوروبية التي تخشى موجات النزوح. فكلما بدت ملامح تقارب بين تركيا والولايات المتحدة، عمد الروس إلى دفع النظام لخرق الاتفاق بحجة الحرب على "هيئة تحرير الشام"، المصنفة كمنظمة إرهابية بحسب الأمم المتحدة. الأمر الذي يعطي الروس ونظام الأسد حجة مبررة لقصف إدلب ومحيطها والمناطق العازلة.

محددات السياسة الأمريكية في سورية

تبني الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجيتها في سورية مؤخراً وفق محاور ثلاثة:

- الحرب على الإرهاب

مع عودة تنظيم داعش للنشاط شرقي سوريا على الشريط الحدودي مع العراق، عاد نشاط القوات الأمريكية، التي زادت من جرعة هجماتها وقصفها لمواقع التنظيم. رافق ذلك في زيادة الدعم لمسلحي "قسد"، أو ما يعرف بقوات سوريا الديمقراطية، التي تهدد تركيا باقتحام مواقعها شرق نهر الفرات.

الدوريات المشتركة بين القوات التركية والقوات الأمريكية في مدينة منبج باشرت عملها. لكن هذه الخطوة ما زالت بعيدة عن تطمين الطرف التركي وإزالة مخاوفه من نشاط الميليشيات الانفصالية الإرهابية في شمال سورية.

الرئيس أردوغان رفع من وتيرة خطابه وتهديده بقرب عملية عسكرية ضد ميليشيات "قسد"، شرق الفرات. وبالتوازي مع خطاب أردوغان، قامت القوات البرية التركية المتمركزة في المناطق الحدودية باستهداف مواقع مليشيات بي كا كا / ب ي د الإرهابية، في الطرف السوري المقابل.

الطرف الأمريكي رد على الطرف التركي بتسيير دوريات مشتركة مع تلك المليشيات على طول الحدود مع تركيا. لكن ذلك لن يمنع القوات التركية من استهداف مواقع تلك الميليشيات في أماكن أخرى.

- حصار إيران

قبل أسبوع، أعلنت إدارة الرئيس ترامب الدفعة الثانية من حزمة العقوبات على إيران. من المبكر لأوانه الحديث عن ردة فعل إيرانية في الوقت الحاضر، لكن الرد الإيراني على العقوبات الأمريكية، وخصوصاً عندما تشتد آثارها لن يكون مستبعداً. حيث من المحتمل أن يقوم الإيرانيون بالتصعيد على أكثر من جهة. ابتداء من غزة إلى لبنان فالعراق فاليمن، ولن تكون الساحة السورية بمعزل عن التجاذبات الأمريكية الإيرانية.

- العملية السياسية

لا يبدو الأمريكان في عجالة من أمرهم بخصوص العملية السياسية في سورية، طالما أن الصراع هناك يؤدي إلى استنزاف جميع الأطراف، والتدخل في الوقت المناسب استراتيجية أمريكية قديمة، يستخدمونها منذ الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا.

تعيين السفير جيمس جيفري، مبعوثاً أمريكياً إلى سوريا، رسالة تلقتها الأطراف المعنية بالمسألة السورية على أنها رغبة من الطرف الأمريكي في تفعيل العملية السياسية من جديد.

تركيا التي تعمل جنباً إلى جنب مع الروس بسبب جديتهم وفاعليتهم، ترحب بعودة الأمريكان للعب دور فاعل في العملية السياسية في سورية، إذ لا حل ممكناً بدون مشاركتهم، بل قيادتهم للعملية .

الانفراج في العلاقات بين تركيا ودول الخليج، وحتى التقارب المصري السوداني، جميعها رسائل إيجابية تدفع باتجاه تنقية الأجواء وتهيئة الظروف لبداية عملية سياسية في المنطقة.

لغة الضاد
هوية الأمة وثقافتها
الواقع والمستقبل

ملف
العدد

تميز الإنسان بأنه يستطيع البيان والتعبير عما يجول في فكره وقلبه، ويستطيع الدخول في شبكة معقدة من الأصوات والرموز والدلالات، لما زُوِّد به من عقل يفكر وجهاز نطقي متكامل يستجيب لإملاءات العقل والقلب، وليس من المبالغة القول إن اللغة هي الإنسان والحياة بكل مكوناتها، فنحن نتواصل بها، ونعبر بها عن أحلامنا وعواطفنا وأفكارنا وعقائدنا وتجاربنا المختلفة، وهي منهج فكري يمكننا من التواصل مع الآخرين، فمع بدء اللغة بدأ النشاط الإنساني والثقافة الإنسانية، وأخذ المجتمع البشري بالتقدم والعمران، فلولاها ما كانت حضارة وما عرَف الإنسانُ الإنسان، ومن هنا تبدو اللغة مكتوبةً ومنطوقة أساس كلّ مجتمع بشريّ وتطور حضاري، فوجودها يعني عملية التفاعل مع الآخر، ونقل الثقافات، وتبادل المعارف والخبرات، والإسهام في بناء المجتمع الإنساني.



اللغة العربية معجزة اللغات

عند حديثنا عن لغتنا العربية يبدو الأمر مختلفا لما لها من مكانة كبيرة في قائمة اللغات، فهي أغنى لغات العالم وأكثرها حيوية، وهي كما يقول الشيخ علي الطنطاوي (ت ١٩٩٩م) معجزة الذهن البشري، وأعجوبة التاريخ في عصوره كلها، وقد استطاعت، لما تميزت به من العناية الربانية، أن تحافظ على خصائصها وميزاتها على الرغم من امتداد عمرها والتغييرات الكثيرة التي طرأت على مجتمعاتها، فلبّت حاجات الإنسان العربي في مختلف مظاهر حياته، من التواصل بين الأفراد إلى التعبير بالكلام الفني الرفيع الذي يبلغ المرتبة العليا في الجودة والبلاغة والإتقان.

وقد تحول العرب قديما من اعتزازهم وشعورهم العميق بقيمة لغتهم إلى عمل علمي يمارسونه لبيان عظمتها وتفوقها، فبدؤوا بدراستها، تشجعهم على ذلك طبيعة المجتمع الإسلامي الجديد وشعورهم بضرورة تقريب معاني القرآن وأسلوبه إلى أذهان الأعاجم الداخلين في الإسلام، فكشفت دراساتهم الأولى عن فكر يوجه الأذهان ويفتق الأفكار، وحرص يبلغ درجة التقديس لارتباطها الوثيق بكتاب الله، ولغة النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم ينطق قط بغير العربية.


ياسين عبد الله جمول

يقول المعلم والباحث ياسين عبد الله جمول لـ (نور الشام): إن اللغة العربية أوسع اللغات مدىً وأغزرهنّ مادةً وأوفاهنّ بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة كما قال مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٧م)، وهي اللغة الوحيدة التي حافظت على خصائصها الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية؛ لِمَا تتميز به من خصائص سمّاها بعض القدامى: خصائص العربية، وآخرون: أسرار اللغة، مما ضمن لها التفوّق على ما سواها من اللغات، من ذلك: ثبات أصول الأصوات العربية مقابل تغيرات كثيرة في أصوات اللغات الأخرى وتوزُّع الحروف العربية في أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات. واتساع العربية لكثرة أبنيتها وتعدُّد صيغها ومرونتها على الاشتقاق وهي في الجملة لا تقل عن ثمانين ألف (مادة) عدّة ما اشتمل عليه معجم لسان العرب، وهي مع ذلك معتدلة الكلمات أكثر ألفاظها على ثلاثة أحرف".

وعن مميزات اللغة العربية يضيف أ. ياسين جمول: تمتاز العربية بفصاحة مفرداتها ودقّتها في التعبير عن المعاني. وظاهرة الإعراب في العربية مما تتميز به ويحفظها من اللحن. وفي العربية قدرة على التطور والنمو والارتقاء مع المدنية عبر أنواع تميزت بها من: الاشتقاق والنحت والتعريب والتوليد والترادف والاشتراك. وتبقى أعظم مزية للعربية أنها لتلك الخصائص وغيرها اختارها الله لتكون لغة أعظم الكتب السماوية، لغة القرآن الكريم، فتجاوزت به كل اللغات وحُفظت على مرّ السنين.

اللغة العربية أم اللغات

تأتي قداسة اللغة العربية لما حباها الله من مكرمة حملها لمعاني معجزة الإسلام، فبغيرها لا تتم المعاني القرآنية على أكمل وجه، ولا يحصل البيان الكامل لمراد الله سبحانه وتعالى إلا بها، وقد قال أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥ هـ) في ذلك: ""فلما خَصَّ -جل ثناؤه -اللسانَ العربيَّ بالبيان، عُلِمَ أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه".[1]

ويرى أ. ياسين جمول أن بعض المغرضين يروّج لقداسة العربية بمعنى أنها لغة الصلاة وتلاوة القرآن فحسب كما هي لغة التوراة والإنجيل؛ وإنما العربية لغة حياة لغة مجتمع ولغة علوم، لغة دنيا ودين. ومكانة اللغة من مكانة أهلها؛ فالعربية لغة القرآن أقبلَ الناس على تعلّمها عند انتشار الإسلام وتركوا لغاتهم المحلية حرصاً على لغة القرآن، لغة الإسلام الذي اعتنقوه، لغة الدولة الإسلامية التي وصلت حدودها ما بين الصين وأوربا، فصارت لغة الدين والدنيا ولغة العلوم والمعارف يومذاك. ولما ضعف المسلمون وتفرقوا وقامت النزعات القومية فانغلق كل قوم على لغتهم، وانبهر المهزومون بالمنتصرين ولغتهم وحضارتهم، وقد قال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ): "إنَّ اللغة يسقط أكثرُها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيّد لغةَ الأمةِ وعلومَها وأخبارَها قوةُ دولتها ونشاطُ أهلها وفراغُهم، وأمّا مَن تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمونٌ منهم موتُ الخواطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبُيود علومهم؛ هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل".[2] فمع تراجع المسلمين عامةً والعرب خاصةً سياسياً واقتصادياً وحضارياً تراجعت مكانة العربية وصار ينظر إليها البعض -مع الدِّين الذي تمثّله-أنها من ميراث مرحلة تاريخية حملت الهزائم للأمة، وأن لغة المنتصرين من إنجليزية وفرنسية وغيرهما أعلى وأقوى، وهذا جاء في قول ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): "المغلوبُ مُولَع أبداً بالاقتداء بالغالب؛ في شعارِه وزيِّه ونحلتِه، وسائر أحواله وعوائده"[3].

اللغة العربية من الدين

تُعد اللغة العربية مفتاحا لفهم الكتاب والسنة، والوسيلةَ إلى الوصول إلى أسرارهما، وفهم دقائق معانيهما، وقد تنبه الصحابة والتابعون والسلف الصالح إلى ذلك فعنوا بعلوم العربية وحثوا على تعلمها وتعليمها، ومن

(١) الصاحبي في فقه اللغة ٤/١.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٣٢/١.
(٣) مقدمة ابن خلدون ١٨٤/١.

ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلَّموا العربيةَ، فإنها من دينكم، وتعلَّموا الفرائضَ، فإنها من دينكم"(١). وما ذلك إلا لأن الطريق إلى معرفة مراد الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لا يكون إلا بفقه العربية وعلومها.

يقول أ.ياسين جمول: " فلا يمكن الفصل بين الإسلام واللغة العربية ما دامت هي وعاء القرآن الكريم، وما دامت الصلاة تُقام بها، وقد قال الثعالبي الإمام اللغوي (ت٤٢٩هـ): "ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصافيها، والتبحُّر في جلائلها ودقائقها؛ إلا قوةُ اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوّة -التي هي عُمدةُ الإيمان-لكفى بهما فضلاً يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارَين ثمرُه"(٢). فتعلُّم العربية أصل مهم من أصول الإسلام.

وقد قال الله تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء...}(٣). قال العلاّمة السعدي (ت ١٣٧٦هـ): "ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله، لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها"(٤). وكذا ذكر الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) أن فهم كتاب الله لا يكون إلا من الطريق الذي نزل عليه باعتبار ألفاظ العربية ومعانيها وأساليبها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يُرِدِ الله به خيراً يفقِّهه في الدِّين"(٥)؛ فقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): "فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذِّكر فيما افتُرض عليه من التكبير، وأُمر به من التشبيح والتشهُّد وغير ذلك"(٦).

يمكننا القول إذًا، إن ثمة ارتباطا وثيقا بين اللغة العربية والدين الإسلامي، لأنَّ العربية لغةُ الإسلام، ولغة كتابه العزيز، ولغة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، ولذا فإن الاهتمامَ بها استكمال لمقوم من مقومات العقيدة الإسلامية، التي ندعوا إليها وندافع عنها، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): "فإنَّ نفسَ اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرضٌ واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهمِ اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيان، ومنها ما هو واجبٌ على الكفاية"(٧).

وقد جعل ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) الضعف في اللغة العربية سبب ضلال كثير من الفقهاء، فقال "إنَّ أكثر مَن ضلَّ من أهل الشريعة عن القصدِ فيها، وحاد عن الطريقةِ المثلى إليها، فإنما استهواه واستخفَّ حلمَه ضعفُه في هذه اللغةِ الكريمة الشريفة التي خُوطِب الكافَّةُ بها"(٨). ولهذا السبب يقول الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) "لا أُوتَى برجلٍ غير عالم بلغةِ العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"(٩).

اللغة هوية وثقافة

يبقى الإنسان مجهولًا حتى يتحدّث ويعبّر عن نفسه، وكذلك تبقى الأمة مجهولةُ حتى تكشف لنا لغتها، فنغوص في فكرها وقلبها، ونتعرف إلى تاريخها وهويتها وثقافتها وما تؤمن به من قيم وعقائد، وهذا يعني أن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة اتحاد، تمنعنا من رسم الحدود والفواصل بينهما، وتجعلنا نؤمن أن الناطق باللغة هو ابنها الذي يحمل صوتها وضميرها، وزمرة دمها ولون جلدها، باختصار إنه يحمل ثقافتها وهويتها، ويمثلها بقوله وسلوكه ما دام يتحدث بها، فليس هناك كائن يستطيع التعبير عن الثقافة المجتمعية كما تفعل اللغة وكما يفعله سلوك الناطق بها. وقد قال الفيلسوف الألماني هايدغر (ت ١٩٧٦م): "إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع". وهذا يعني أن لغتنا العربية هي عنوان شخصيتنا وهويتنا الإسلامية، ورمز ثقافتنا ووعاء تاريخنا وعلومنا والدالة على الحضارة التي بلغتها أمتنا.

وقد وعى عدد من فلاسفة الغرب هذه الحقيقة فقال الشاعر الفيلسوف الألماني هردر (ت ١٨٠٣م): إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وقلب الشعب ينبض في لغته، وروحه تكمن في لغة الآباء والأجداد"(١٠).

وعن معنى الهوية وارتباطها باللغة يقول أ. ياسين جمول: " هوية المرء ليست بطاقة يحملها في جيبه، بل هي حقيقته وماهيته، فإن كانت اللغة هي لسانه فالهوية حقيقته، واللغة والهوية مرتبطتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى عند قوم من الأقوام، لأن اللغة هي التي تحفظ تاريخ المرء وفكرَه ورؤيتَه؛ والعلاقة بين الهوية واللغة عندنا أهم لارتباطها بالدين، فهي فوق أنها وعاء تاريخنا وفكرنا وأداة تواصلنا مع مجتمعنا هي وعاء الدِّين وبها نتعبَّد الله سبحانه".

ويضيف أ. ياسين جمول: " اللغة تحفظ للمرء هويته، إذ الهوية بها تُعرف حقيقة المرء، لأنها تكشف فكره ورؤيته وتاريخه وفلسفته، وإن ضاعت لغته الأمّ ضاع كل ما تحمله من الفكر والرؤية والتاريخ والفلسفة، واحتمل مع اللغة الجديدة كل ذلك، فيعيش عربياً مثلاً بالاسم إنجليزياً بالفكر والفلسفة والرؤية، قال أحد المبشِّرين ويُدعى تكلي: "يجب أن نشجّع إنشاء المدارس، وأن نشجّعَ على الأخص التعليم الغربي. إن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادُهم حينما تعلّموا اللغة الإنجليزية، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدَّس أمراً صعباً

(١) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب ٩/١.
(٢) فقه اللغة وسر العربية المقدمة/ ١٠.
(٣) إبراهيم، الآية ٤.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: ٤٢١.
(٥) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).
(٦) الرسالة ٤٧/١.
(٧) اقتضاء الصراط المستقيم، ص: ٢٠٧.
(٨) الخصائص ٢٤٥/٣.
(٩) الإتقان في علوم القرآن ٢٠٩/٤.
(١٠) اللغة العربية وتحديات العصر، محمود السيد ص: ١٦٦.

جداً[١].

من أجل ذلك كله نجد أن الأمم الواعية تهتم بلغاتها اهتماما كبيرا، فتعمل على نشرها والاعتزاز بها رمزا لهويتها، فاليابان التي استسلمت في الحرب العالمية قبلت بكل الشروط المجحفة التي فرضت عليها مثل حلّ الجيش وتغيير الدستور ونزع السلاح إلا أنها لم تقبل شرطا واحد وهو التخلي عن اللغة القومية في التعليم، فكانت اللغة اليابانية منطلق النهضة العلمية والصناعية والتقنية، وكذلك أدركت فرنسا قديما أهمية لغتها القومية فأصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٩٤م قرارا ينص على عدم السماح بعقد المؤتمرات العلمية المتحدثة بالإنكليزية على الأرض الفرنسية، وتجدر الإشارة إلى أن مدرس الرياضيات في فرنسا يحاسب طلبته على أخطائهم اللغوية كما يحاسبهم على أخطائهم في الرياضيات. وفي ألمانيا عندما سئل بسمارك (ت ١٨٩٨م) عن أفظع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: إن الجاليات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنكليزية لغة رسمية لها[٢].

الصراع مع العامية

تعد اللغة الفصحى محور منظومة الثقافة العربية والإسلامية ومصدر استقاء المعرفة، والوسيلة التي بها تعرف حضارة الأجداد، والجسر الذي يصل الحاضر بالماضي، وهي لغة العلم والأدب، ومن قبل وحدت الفصحى بين العرب في القديم عندما اجتمعوا عند هذه الأم الرؤوم عن طريق القرآن، ولولا كتاب الله الذي وحد القلوب والألسنة لبقي العرب متفرقين متقاتلين، يقول فيليب دي طرازي (ت ١٩٥٦م): "لولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وكتابتها ودراستها والتعامل بها، ولولا القرآن لظل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر. وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلامية وبين العرب"[٣].

ولذلك كانت لغتنا الفصحى وما زالت محط سهام الأعداء، إذ أرادوا إبعادها عن أخذ مكانتها في الحياة حتى يصل الأمر بفقدانها وفقدان الصلة بديننا وتراثنا، فنشأت دعوات كثيرة إلى سيطرة العامية على مجالات الحياة كافة، وقد كان وراء هذه الدعوات رجالات الاستشراق وتلامذتهم، من مثل لويس ماسينيون (ت ١٩٦٢م)، وأرنولد توينبي (ت ١٩٧٥م)، وحفني ناصف (ت١٩١٩م)، وسلامة موسى (ت ١٩٥٨م)، فدعوا إلى العزوف عن الفصحى وإحلال العاميات، لتتخذ كل منطقة لغة تفصل بين الأشقاء، فيقل تبعاً لذلك الاتصال الفكري والاجتماعي، ويحدث التفكك اللغوي وتنتشر اللوثة في اللسان العربي.

فاللغة علاوة على كونها أداة التفاهم، فهي جامع موحد للقومية بأوسع معانيها وسياج للأمة وصلة بين ماضيها وحاضرها، وطريق مستقبلها وعنوان ثقافتها، فإذا كانت الأمة قديمة اللحمة في التاريخ، واضحة النسب في المجد، كانت أحرص على ماضي لغتها، لأنها لا تريد أن تفرط بشيء من تاريخها، فإن الأمة إذا بدأت تنسى تاريخها سهل على الحوادث أن توزعها بين الأمم المختلفة الطامعة بها، أو الطاغية عليها من كل جانب[٤].

ويرى أ. ياسين جمول أن "الدعوة إلى العامية واحدة من المعارك التي شنَّها على الأمة أعداؤها، تولَّى كِبرها بعض المستشرقين وسار في ركبها بعض المستغربين من أبناء أمتنا، وهي لضرب وحدة العالم العربي والإسلامي، فهي لا تخرج عن حملاتهم الصليبية، لكن جاءت دون سلاح مادي؛ فأكبر عائق أمامهم هو الدِّين وإنما يقوم الدِّين بكتابه القرآن الكريم، وهو الذي يحفظ اللغة العربية ويصونها، فإن عجَزوا عن محاربة القرآن مباشرة لجؤوا إلى حربه بمحاربة لغته العربية، فأرادوها لغات ولهجات بدلاً من لغة فصيحة واحدة جامعة للمسلمين كافة وللعرب خاصة، لينفرط عقد وحدتهم وتتنافر قلوبهم كما تنافرت ألسنتهم. ولعلها استطاعت تحقيق جزء من مخططاتها، لكنه ليس بكبير، فهي معركة من معارك تطلّ كل حين بلبوس يناسب المرحلة التاريخية والظروف السياسية التي نعيش؛ فلا تشغلنا الدعوة إلى العامية عن معاركهم الأخرى ضد اللغة العربية، فكلها حملات عدائية تُديرها الأقلام ذاتها".

اللغة العربية ووسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي

لا يخفى على أحد الدور الكبير الذي تلعبه وسائل الإعلام في حياة الفرد والمجتمع، فهي تستطيع أن تكوِّن رأيا عامّا تجاه قضية من القضايا، وأن تحقق تقدما في مجالات مختلفة، ويمكنها كذلك أن تؤثر بإيجابية في سبيل نهضة الإنسان ورقيه المعرفي والتربوي واللغوي، كما يمكنها أن تؤثر بسلبية إذا أصبحت أداة لإفساد الذوق واللسان ونشر الرذيلة واستلاب الهوية.

وقد لعبت وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها دورين مختلفين فيما يتصل باللغة العربية، أحدهما نافع والآخر ضار، فمن منافعها أنها شكلت لغة إعلامية يعرفها د. جابر قميحة بأنها " اللغة التي تشيع على أوسع نقاط في محيط الجمهور العام، وهي قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون والآداب"[٥]. كما استطاعت هذه اللغة الإعلامية القضاء على الكثير من فوارق اللهجات المحلية، وتزويد العربية بروافد جديدة من الألفاظ والتراكيب التي تثري المعجم وتقدمها بعصرية وعالمية.

كما أسهمت وسائل الإعلام الهادفة في نشر اللغة الفصيحة وجعلها حيوية، وإثارة

(١) ينظر: أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، ص: ٢٠٢.
(٢) اللغة العربية وتحديات العصر، محمود السيد ص: ١٦٩-١٧٠.
(٣) الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص: ٣٢.
(٤) القومية الفصحى، عمر فروخ، ص٩٧.
(٥) أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، د. جابر قميحة، ص:٨٦.

قضية الوعي اللغوي، إضافة إلى أن اللغة العربية الفصيحة أصبحت أداة التعبير للكتاب والمفكرين في وسائل الإعلام، وهي توصف بالسهولة والوضوح والمباشرة وتجنب المحسنات اللفظية والمعنوية.

وقد لعبت برامج الرسوم المتحركة الهادفة دورا إيجابيا كبيرا في تعزيز اللغة العربية الفصيحة وتنمية الحس اللغوي لدى الأطفال واليافعين، إضافة إلى ما تقدمه من محتوى غني ذي بعد توجيهي ثقافي، يربي الذوق الفني ويعلي من القيم السامية ومكارم الأخلاق ويطلق عنان الخيال.

وكذلك نجد أن وسائل التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها قد كسرت حواجز العزلة واتخذت لنفسها لهجة عامة مشتركة زادت من التقارب بين العرب على اختلاف بلدانهم ولهجاتهم، فعملت على تنقية اللهجات المحلية مما هو غريب عنها لتقترب من اللغة العربية الفصيحة التي يفهمها كل العرب، فأصبح العرب على اختلاف أقطارهم ولهجاتهم يتواصلون ويتفاهمون فيما بينهم بيسر وسهولة.

إلا أن وسائل الإعلام لم تكن خيرا على اللغة العربية دائما، فإضافة إلى حملات التغريب والحرب على الهوية العربية الإسلامية والقيم الدينية والأسرية والوطنية، كانت هناك تأثيرات لغوية من خلال الترويج للهجات العاميات المختلفة وللغات الأجنبية، ومحاولة ترسيخ الأخطاء النطقية التي تحوّر الكلمات والحروف العربية، وإفساد الذوق الأدبي واللغوي، ومن أكبر الجنايات التي ترتكبها بعض وسائل الإعلام أنها تعرض البرامج الموجهة للطفل مدبلجة باللهجات المحلية، مما يسهم في تشتت الأطفال وفصلهم عن اللغة التي تتجلى فيها هوية مجتمعهم الأصيل وثقافة وعلوم أجدادهم.

اللغة العربية في وجه التحديات

استطاعت العربية أن تستوعب الوحي الإلهي، وتفاعلت مع حركة الحياة في عصور مختلفة، وقامت عليها أطول حضارة عرفتها البشرية، كما استوعبت فلسفات اليونان والهند والفرس، وقد لقيت احتراما كبيرا من أبنائها ومن غير أبنائها، إلا أنها اليوم تتعرض لهجمات شرسة يشنها الاستعمار الجديد، وبعض أبناء العربية الذين يدعون أن لغتهم الأم لم تعد مناسبة لعصر التقدم التقني. يقول أ. ياسين جمول: " تُسلك هذه الدعوى في المعارك على اللغة العربية لاطّراحها، وهي ساقطة بشهادة التاريخ؛ فالعربية استوعبت قديماً كل اللغات ونقلت عنها علومها وإليها نُقلت علوم العرب وآدابهم لاسيما في العصر العباسي، وما أجمل قول حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢م) في هذا على لسان العربية:

وَسِعْتُ كِتَابَ الله لَفْظاً وغَايةً
وَمَا ضِقتُ عَن آيٍ به وعِظَاتِ
فكَيفَ أَضيقُ اليومَ عَن وصفِ آلَةٍ
وتَنْسِيقِ أَسماءٍ لمخْتَرعَاتِ

فاللغةُ العربيةُ بقيت لعصورٍ لغةَ العلوم، حتى إن بعض النصارى حينما ترجموا كتب الفلسفة الإغريقية إلى الآرامية والسريانية كتبوا بالعربية؛ لأنهم وجدوا أن اللغة السريانية لا يمكن أن تستوعب هذه المباحث الدقيقة فنقلوها إلى العربية، وضاعت أصول كثير من تلك المباحث الإغريقية وترجماتها السريانية واحتفظت بها العربية وعنها انتشرت إلى الثقافات الأخرى. فمَن يتهم العربية بعجزها عن القيام بالعلوم اليوم إنما هو




د. محمد خالد الفجر

هل سنتعلم لغتنا من غير أهلها؟

د. محمد خالد الفجر
أكاديمي وباحث سوري

نشهد اليوم ظاهرةً تعدّتِ الخطأ النحوي والتركيبي في لغتنا العربية إلى مرحلة عدم فهم عددٍ من أطفالنا لغة أجدادهم وعنوان مجدهم ولغة عبادتهم ورسالة ربهم ففي كثيرٍ من المجتمعات العربية اليوم تحقّق قول المتنبي: وَلَكِنّ الفَتى العَرَبيّ فِيها غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللّسَانِ

وفي الجهة المقابلة نجد نهضةً لغويةً للعربية، ففي أمريكا سيدة العالم لم تعد تخلو جامعةٌ تقريبًا من قسمٍ لتعليم اللغة العربية وتشهد نموًّا في بريطانيا حتّى إنّ دراسةً تفاجئنا وقد أصدرها المجلس البريطاني تبين هذه الدراسة أنّ العربية ستتفوق على الإسبانية في المملكة المتحدة بعد مضي زمن ليس بالبعيد، هذا عدا عن حركتها في البلاد الإفريقية غير العربية، وفي كوريا الجنوبية قبلت لغةً ثانية لدخول الجامعات، أمّا في تركيا فدخلت المرحلة الابتدائية وهي أساسية في ثانويات الأئمة والخطباء وكذلك في كليات الإلهيات التي فاقت المئة كلية، أضف إلى ذلك المراكز الوقفية وكليات الآداب.

ومن يلتقي بمن أتقنها من أولئك الذين ليسوا بالأصل من أهلها تجدُهم يتفننون في نطقها ويطعمونها في نطقهم صورًا وبلاغةً وأمثالًا عاجز عن تعلّمها جاهل بها، أو جاهل بطرائق تعلّمها وتحصيلها. فاللغة العربية كما يذكر الرافعي كالكائن الحيّ تنمو من باطنها بما أُتيح لها من عوامل نموها المستمر مع بقائها متميزة في أصلها، ومن ضروب نموّها: الإبدال والقلب والاشتراك والنحت والترادف والتضادّ والتعريب والتوليد؛ فهذه الضروب من النموّ تحدّد في جملتها أجزاء اللغة وتصف تاريخ اتساعهم فيها".

سبل النهضة بلغتنا

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف يمكن استعادة مكانة العربية في النفوس والتفاعل مع حركة الحياة وتجاوز مشكلة غربة اللغة العربية؟ يجيب أ. ياسين جمول بقوله: "أول الحلول لاستعادة مكانتها عالمياً أن تستعيد مكانتها في نفوس أبنائها؛ فما لم نحترمها نحن لن يحترمها غيرُنا وإن أسقطناها من فكرنا ولساننا فلن يرفعها أحد، قال غوستاف لوبون (ت ١٩٣١م): "إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها". ففي تمكين العربية في منازلنا تمكين لها في الوسط الاجتماعي؛ وهذه مسؤولية الأهل، وفي تمكين العربية الفصحى في المدارس وتيسير قواعد نحوها وصرفها على الطلبة حفظٌ لها وتعزيزٌ لمكانتها في قلوب الطلبة وعقولهم؛ وهذه مسؤولية المعلمين، ونحو ذلك في المؤسسات العلمية والفكرية أولاً ثم ما دون ذلك من مؤسسات. لا يقال: إننا بحاجة إلى لغات أخرى للتعليم والعمل؛ فإننا مع الأخذ من اللغات كلٌّ بحسب حاجته، فالضرورة تُقدَّر بقدرها، فلا تسوّغ الحاجة للإنجليزية في العمل أن تصير لغة البيت، ولا تبرّر الحاجة إلى اللغة التركية للإقامة والعيش أن تصير لغة الأطفال والأهل فيما بينهم؛ فنحن بهذا نقدّم للداعين إلى العامية ما أرادوا دون تعب منهم فنجعل اللغة العربية لغة دينية للصلاة بها فحسب! ولابد من استنهاض همم الباحثين والدارسين في اللغة العربية وآدابها لتأكيد حيوية اللغة ليتأكد للشعوب أنها تستوفي ما في نفوسهم عن اللغة، وأنها هي هويتهم؛ فتتوفر لهم الدواعي للدفاع عنها والمحافظة عليها. ولا تُعفى منظمات المجتمع المدني في البلدان العربية والأجنبية من المسؤولية في حفظ اللغة عبر مراكز ثقافية وبرامج ومشاريع للجاليات العربية والمسلمين المهتمين بالعربية، مع مسؤولية مراكز البحث العلمي والجامعات في تطوير تدريس العربية للناطقين بغيرها؛ ففي المسلمين المعجبين بالعربية الراغبين بتعلّمها عمق استراتيجي للعرب ولغتهم".

كما يرى أ. ياسين جمول أن كل تلك الحلول تنبني على معرفتنا بلغتنا معرفة عميقة شاملة للغة العربية وخصائصها الأصيلة، لا على معرفة مسائل منثورة ومعارف متفرقة في النحو والصرف واللغة، فهذا هو السبيل كما يذكر الدكتور محمد المبارك (ت ١٩٨١م) "لتكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا السياسي والفكري، بل هو الأساس لتكوين تفكيرنا تكويناً صحيحاً سليماً، والأخذ بأيدينا نحو الوحدة اللغوية والتحرر اللغوي والقضاء على التجزئة والشعوبية أو النفوذ الأجنبي في ميدان اللغة والفكر".

أما الدكتور عبد العزيز التويجري فيرى في كتابه (تأملات في قضايا معاصرة) أن المسألة اللغوية ينبغي أن تتخطى مجالَ المناشدة والدعوة والطلب إلى الجهات المسؤولة للقيام بواجبها تجاه لغة الضاد، إلى استصدار قرارات مسؤولة، أو وضع تشريعات قانونية ملزمة، تقضي باعتبار الخطأ في اللغة، ليس فقط عيباً أو مسبة أو نقصاً، وإنما اعتبار ذلك خروجاً عن القانون. وهذا هو الشأن المتبع في بعض الدول الأوروبية. والأمر قبل هذا وبعده، يحتاج إلى إرادة سياسية تؤمن بالرسالة الحضارية للغة العربية، وتحمي الهوية الثقافية للأمة بحماية لسانها، ففي ذلك ترسيخٌ للكيان العربي الإسلامي الكبير، وتقويةٌ لدعائمه.

وحكمًا، بل يجهدون أنفسهم في ذلك حتى إن صديقًا قال لي: "لقد شاب رأسي في تعلمها"، ووصل الأمر إلى أنَّهم يعلموننا بعضًا من الكلمات التي لا نفقهها لعدم استعمالها فمرَّةً سأل أستاذ ما معنى محل الأدوات المعمَّرة؟ فذهب كثيرون إلى أنها المستعملة، فقال: لا بل هي الثلاجات والغسالات وسُمِّيَت مُعَمَّرة؛ لأنَّها تعمر في البيوت. وإليكم أيها القراء الكرام عددًا من المواقف التي تعطي قراءةً مستقبليةً يمكن أن تحقق ما ورد في عنوان المقال.

وأبدأ بصديقٍ يابانيٍّ تفوَّق في قسم اللغة الإنكليزية ونال منحةً من حكومته لدراسة اللّسانيات في بريطانيا سافر إلى لندن وكان فكره مشغولا بهمٍّ لا يفارقُه وهو كيف يكون سعيدًا؟ دارت عجلة الأيام به وطوّف في البلاد باحثًا عنها ويشاء الله أن يقرأ كتابًا عن الإسلام في فندق في القاهرة تركه خلفه زائرٌ قد غادر الغرفة من أبناء جلدته قرأ الكتاب وعاد أدراجه إلى طوكيو ليُقْدِمَ على أخطر قرار في حياته إعلان أنه لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

يقابل أستاذًا مسلما في الجامعة التي يعمل بها ويعطيه قاعدةً لتعلم الإسلام ألا وهي إتقان العربية فبدونها لن تفهم الإسلام فهمًا كاملًا ويبدأ رحلته الجديدة يسجل من جديد في مرحلة الليسانس في قسم اللغة العربية ويتفوّق وينال المرتبة الأولى ويعشق هذه اللغة ويتكلّمها بإتقان ويصادف أن نكون في إحدى المحاضرات ويقول أستاذنا في تلك المحاضرة وهو الدكتور عبد الصبور شاهين -رحمه الله تعالى- حبَّذا لو يُخصص قسمٌ من مال طباعة القرآن الكريم لتعليم غير العرب قراءة الفاتحة في موسم الحج وذلك بتكليفِ عددٍ من الشَّباب المميزين في التعامل واللُّطف والذّوق وينتشرون بين المسلمين غير العرب في الحج ويعلمونهم قراءة الفاتحة قراءةً موافقة لأحكام التجويد وخاصّةً مخارج الحروف العربية لاسيما الحروف التي لا توجد في لغاتهم.

وروى لنا تجربةً قام بها هو بنفسه في الحج، ثم قال لنا الآن انظروا إلى أخينا أحمد وسنرى كيف أنه سيقع بالأخطاء نفسِها في قراءة القرآن وإذ بأحمد يفاجئ الجميع بقراءةٍ مُتقنَةٍ جعلتْنا نصمت وكأنَّ على رؤوسِنا الطَّير عاش أحمد بصدقٍ قصّةَ عشقٍ لهذه اللُّغة العربية يبدأ يومه في القاهرة من الثامنة صباحًا وحتّى الثَّامنة مساءً تنقيبًا وبحثًا عن كتب العربية ومتقنها ومعلِّمها همُّه أصبح كيف يتذوق الشعر العربي وكيف يصبح مرجعًا في العروض وعندما سألته يا أحمد لِمَ ترهق نفسك كل هذا الإرهاق لم لا ترفِّه عن نفسك قليلا؟ قال لي: تعلم يا محمد! أني أحمل هم الأيام القادمة لأنني سأنشغل عمّا أنا فيه برحلةٍ إلى الهرم مع أختي التي ستزور القاهرة يا محمد! حياتُنا قصيرة ويجب أن نُعِدَّ جوابًا لما بعدها... أعمل وأجِدُّ يا محمد حتى يكتب على قبري هنا يرقد النَّحَوي العربيُّ الياباني أحمد تاكيدا.

أحمد اليوم رسولٌ من رُسُلِ اللّغة العربية متقنٌ لفنونها له في كلّ عامٍ جولةٌ في أحد البلدان الإسلامية يجمع أبحاثًا ويكتب مقالاتٍ عن اللُّغة العربية ونحوها وصرفها كنا في سور الأزبكية وصرت ألتقط كتُبًا عُنونت بـ "نحو النص"، من التفكيكية إلى البنيوية، ديالكتيك اللغة.. وهو ينقِّب في عناوين مثل: جهود ابن جني، سيبويه واللغة، تحقيقات محمود شاكر فقلت له: لم لا يلفِتُ نظرَك ما ألتقطه أنا فقال لي: صدقني يا محمد قرأتها بالإنكليزية والفرنسية واليابانية وشدَّني ما في تراثكم أكثر بكثير مما وجدت في كتاباتهم مِن نظرياتٍ لغوية.

هذه صورةٌ عشتها من صور أولئك القوم غير الناطقين بالعربية ولا يهزُّهم شيءٌ مثل سماعهم لأبناء العربية يهزؤون بهم؛ لأنهم يتكلمون بالفصحى وأذكر ذات يوم أن صينيَّةً في مكتب أحد الأساتذة في إحدى الكليات العربية العريقة دخلت والدموع بعينها؛ لأنَّ الطلبة يسخرون منها وهي تكلمهم بلسانٍ فصيح، طالبةٌ تقول لي بحسرةٍ وأسى أنها وهي تتعلم العربية الفصيحة في إحدى الدول العربية أرادت تطبيق ما تتعلمه مع الطلبة الذين يدرسون في الجامعة وعندما التقتْ بعددٍ من طلبة كلية الطب والهندسة وغيرها من الاختصاصات عجزوا عن فهم بعض الكلمات التي تنطقها بالفصيحة البسيطة، فاضُطرت إلى ترجمتها إلى الإنكليزية، ثم عكفت على تعلُّم العامية مكرهةً حتى تستطيع التفاهم مع عددٍ ليس بالقليل في الجامعة من بنات جيلها.

وفي مدينةٍ من المدن الإسلامية ترى كثيراً من المسلمين يفرحون وهم يرون عربيًّا ويشعرون بالفخر عندما يستطيعون محادثته بالفصيحة؛ لأنها عندهم لغة القرآن الكريم وليست لغةً للعرب وحدهم، ثم يخبرني أحد الأصدقاء أنَّ الناس هنا كانوا إذا وجدوا ورقةً في الأرض مكتوبةً بالعربية حملوها ورفعوها وربما قبلوها ووضعوها في مكانٍ بعيدٍ عن الأرجل فلها في القلب القداسة عندهم.

تذهب إلى عددٍ من البلدان الإسلامية فتجد خلايا نحلٍ تنطلق في تعلم العربية ويركزون في أكثر المراكز على الفصيحة ويطربون في نطقها. فهل يا ترانا سنجد علماء يجددون تلك المرحلة الزمانية التي صنف فيها غير العرب أهم الكتب العربية كسيبويه في النحو وتفنن فيها ابن جني في خصائصه وبرع الزَّجَّاج في عِلَلِها والجرجاني في نظمها والزمخشري في بلاغتها وكانوا هم شيوخ العامود الذين تلتف حولهم حِلَقُ علم اللغة ينقلون عنهم ويصنِّفون وراءهم ومازلنا إلى اليوم نعيش على علومهم ونحصِّل شهادات علمية بقراءة وتحليل لجهودهم.

الفارق بين اليوم والأمس أنَّ الأمس كان العرب يكرِّمون ويفخرون بمن يتكلم هذه اللغة الشريفة وكان الملوك والأمراء يخصونهم بمجالسهم الخاصة يؤنسونهم ويسامرونهم. أما اليوم فصار عددٌ كبيرٌ من أبناء جلدتنا يعتبر العربية والتكلم بها نوعًا من العزف على أوتارٍ قد بليت بمرور الزمن ولا يلتفتون إلى أنَّ جارهم المصطنع قد أحيا لغته بعد مواتٍ وصار لها مجامع وصارت العبرية مقدسة عند شعبها والناطقين بها. يستغرب قومٌ ويقولون هل يوجد إنسانٌ يهزأ بلغته وكيف يهزأ بها وهي تمثّله وتمثِّل انتماءه وتاريخه وأهله!

الدكتور أحمد علي عمر

لـ (نور الشام)

اللغة ليست محضَ أداة تجلٍ للفكر، بل إنها ثقافة وهويةَ

حوار حول اللغة العربية وتحديات العصر

تشكل لغتنا العربية ذاكرة أمتنا وتاريخها، وتعكس أدبيات متكلميها ومعتقداتهم، وهي تجسيد حقيقي للأفكار والثقافة العربية والإسلامية، إنها تتفاعل مع المجتمع ويتفاعل أبناؤه بها ومعها، وبواسطتها يرتبون شؤون حياتهم ومعاملاتهم، وتعبر عن هويتهم ورؤيتهم للحياة والكون، وتصوغ عالمهم الواقعي والمستقبلي، لتصبح مرآة للمجتمع ونشاطاته المتنوعة الثقافية والجمالية والأخلاقية.

إلا أن لغتنا تواجه اليوم أخطارا كثيرة وتتعرض إلى هجمات شرسة تستهدفها وتستهدف هوية الأمة للوصول بالمجتمعات العربية إلى أمية لغوية تعزل أبناء اليوم عن تراثهم وتجردهم من أدوات التفكير العلمية، وفي حوار هذا العدد من مجلة نور الشام نستضيف الدكتور أحمد علي عمر المتخصص بالدراسات الأدبية والنقدية والمحاضر في جامعة تراكيا بمدينة أدرنة التركية، وذلك لنستعرض المشكلات التي تحيط باللغة العربية ومظاهر الاحتلال الثقافي والحصار اللغوي الذي نتعرض له، كما نقف على سبل الخروج من الحصار المفروض علينا، ونستشرف مستقبل اللغة العربية.

تعاني اللغة العربية اليوم من تراجع مكانتها، إلامَ يعود ذلك؟ وكيف يمكن استعادة مكانة العربية في النفوس والتفاعل مع حركة الحياة وتجاوز مشكلة غربة اللغة العربية؟

لا بد في البداية أن نفرق بين تراجع مكانتها وتراجع مكانة متكلميها، وهذا فرق جليٌّ، العربية بوصفها لغة، لا يمكن أن توصف بالتراجع، أي أننا هنا نبحث في ماهية اللغة، وبما أنها مجموعة ضخمة من الجذور اللغوية والصيغ اللانهائية، فلا يمكن أن تتراجع، لأن القوالب اللغوية حصيلة احتياجات متكلميها، فلا بد أنها في تقدم، نظرًا لاستحداث مدلولات جديدة في إطارها النصّي، فإذا اتفقنا على أن التراجع مرتبط بالتفاعل الحيوي بينها وبين متكلميها يمكن لنا أن نلج إلى تشخيصٍ أدق، بمعنى: كيف يمكن لنا استعادة مكانتنا من خلالها؟ ولا شك أن إعادة إحيائها في فكر متكلميها يقودنا إلى أولى الخطوات العملية، فمعظمنا يقرأ بالفصحى، ويتكلم العامية، ويفكر بعقل حضارة أخرى، أي أن نظام المدخلات والمخرجات عندنا متناقض، وهذا سر هذا الوهن، لأن التفكير آلية واضحة في تجليات حركة الحياة، فكيف يمكن لمن يتكلم بلهجة بعيدة عن لغته الأم أن يكون تفاعله سليمًا مع التفكير الذي يتطلب وجود قوالب لغوية أصيلة؟ فلو أننا وحّدنا نظام المدخلات والمخرجات، لانتقلنا إلى مرحلة مهمة من مراحل الاستعادة المكانيّة لعلاقتنا باللغة.

الغربة اللغوية في حقيقتها غربة لموقعها على ألسنة متكلميها، ولكي تتحقق فاعلية التموضع الصحيح لها على الألسن من جديد، لا بد أن تتخذ طريقها القوي إلى الفكر، بِعدِّه الحامل الشرعي لثقافتنا وهويتنا، فاللغة ليست محضَ أداة تجلٍ للفكر، بل إنها ثقافة وهوية، وحين ندرك هذا، أن اللغة ثقافة وهوية، وأداة تعبير عنهما، يمكن حين ذلك أن نرتبط بها ارتباطا قويًا، الارتباط المتين يقود إلى عملية تفاعل صحيحة بينها وبين الحاضنة الإنسانية، وما يستتبع ذلك من انبعاث ثقافي وحركي.

استطاعت العربية أن تستوعب الوحي الإلهي بجميع تفاصيله ودقائق معانيه، واستوعبت الحضارات والفلسفات اليونانية والهندية والفارسية في مراحل الترجمة، عندما تفاعل العرب مع الحضارات القريبة والبعيدة، أما في المرحلة الراهنة فإننا نشهد حملة قويّة يدّعي قادتها بأنَ العربية لا تناسب العصر ولم تعد قادرة على الاستيعاب، فما سبب هذهِ الحملة؟ وما أبعادها التي تنعكس على اللغة؟ وما الذي جعل العربية اليوم تقف متأخرة عن ركب التقدم العملي والتقني؟

اللغة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقوة الأمة، فالمهمات الشاهقة التي استطاعت العربية أن تستوعبها وتتعامل معها بيسر ولين، إنما حدثت في الماضي والأمة في طور تصدير ثقافتها، وفي مكانةٍ تخوّل أبناءها استشعار الريادة والتأثير، واللغة لغة، لا يمكن أن تكون في الماضي ذات ماهية مختلفة عمّا هي عليه اليوم، ولذا فإن التحديات الماضية مشابهة تمامًا للتحديات الجديدة، بيد أنه لم نسمع آنذاك من يكيل هذه التهمة غير المنطقية للغتنا وقدرتها على الاحتواء والتفاعل، فاللغة التي استطاعت أن تكون الحامل الشرعي لآخر الشرائع، أتبعت ذلك بقدرتها على سبك شتى العلوم بألفاظها، فدُوِّنت بها العلوم المختلفة، من تفسير وفقه وعقيدة وحديث، ولما اتسعت رقعة الدولة اتسعت معها في انفتاحها الأكبر على مخزونها اللغوي، واحتوت حضارات الأمم الأخرى من خلال الترجمة والنقل، ولما بدأ عصر التدوين الحقيقي للعلوم والتأليف وجدناها ذات قدرة عالية ومتوازية مع المجالات المختلفة، كالطب والهندسة والفلك والجغرافيا والفلسفة والتصوف والتأريخ وغير ذلك.

ولم يكن لهذا الاقتدار أسبابه الدينية فقط، بما يشبه مفهوم البركة اللغوية، من خلال حملها للشريعة بشقيها القرآني والحديثي، بل بما تتميز به من خصائص لغوية فريدة، كما أثبتته أبحاثٌ ضخمةٌ كثيرةٌ، كالاتساع الجذري، والتنوع الصوتي، والترادف الغني، والدقة التعبيرية، والخصائص الصوتية، والمزيّات البلاغية، والمجاز النوعي، والدقة التركيبية، من تقديم وتأخير وإسناد وحذف، والإيقاع الموسيقي، والمرونة التقبّلية، من التعريب والإدخال والتوليد، والقابلية التوسعية في احتواء المصطلحات الوافدة، وغير ذلك كثير، فلئن كانت هذه الخصائص قادرة عبر قرون مديدة على جعل العربية لغة استيعابٍ وتقبُّلٍ ورفدٍ لكل جديد، فكيف نقبل الحكم عليها من خلال قرنين أخيرين، أي أن عدم مواكبة التقدم العلمي اليوم راجع إلى أسباب لا تتعلق بماهية اللغة ونسقها التعبيري، إنما لذلك أسباب أخرى متعلقة بالوضع الاقتصادي والسياسي، وقبل كل شيء، بالإنسان العربي ومشكلاته وآفاق همومه وتجهيله واستقطابه.

تواجه اللغة العربية مشكلات عديدة مثل الدعوة إلى العامية و إقصاء الفصحى وغلبة تعلم اللغة الأجنبية، فنجد أن العاميات هي لغة التواصل الأساسية، كما أن اللهجات المحكية والعجمة تسيطر على الإعلام والفنون والتربية والتعليم، ما أخطار ذلك، وما الخطوات العملية لإزالة هذه المشكلات؟

الدعوة إلى العامية نشأت منذ وقت مبكر، ولأن الداعين إلى إحلالها محل الفصحى هم في الغالب ممن انهزموا أمام الانبهار الغربي، وبالتالي أمام هويتهم ولغتهم، كان لا بد أن ننظر إلى هذه الدعوات من هذه الزاوية، ففي إيطاليا دُرِّست العامية في مدرسة نابولي للدراسات الشرقية، سنة ١٧٢٧م، وجددت سنة ١٨٨٨م، وفي النمسا أنشئت مدرسة القناصل، وفي فرنسا دُرِّست اللهجات العربية العاميّة في آخر الثلث الأول من القرن الماضي في مدرسة باريس للغات الشرقية الحية، وفي روسيا أنشئت مدرسة لازارف للغات الشرقية سنة ١٨١٤م،

وفي إنكلترا أنشأت جامعةُ لندن في القرن التاسع عشر فرعًا لتدريس العربية العامية والفصحى، ولم يكن يخفى على أحد الهدف الاستعماري في بعض هذه المدارس كما بيّنت الباحثة نفوسة زكريا سعيد في كتابها (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر)، ولقد تابَعَ هؤلاء الأعاجمَ بعضُ العرب؛ ومنهم: إسكندر معلوف الذي كتب في مجلة الهلال سنة ١٩٠٢م مقالًا بعنوان (اللغة الفصحى واللغة العامية)، إذ يرى أن سبب تخلفنا عن الغرب التمسك بالفصحى! وأحمد لطفي السيد الذي دعا سنة ١٩١٢م إلى تمصير اللغة الفصحى، وسلامة موسى إذ تنكّر لكل منجزات الإسلام والعروبة، ولويس عوض الذي قال: "فما من بلد حي إلا وشبَّت فيه ثورة أدبية، هدفها تحطيم لغة السادة المقدسة، وإقرار لغة الشعب العامية، أو الدارجة، أو المنحطة، وفي لبنان أنيس فريحة، وسعيد عقل، حتى عُقِد بلبنان في حزيران من عام ١٩٧٣م مؤتمر كان يهدف إلى هدم اللغة العربية الفصحى.

وقد انبرى الغيارى على لغتهم في الدفاع عن الفصحى والرد على هذه الشبهات الانهزامية، ولو أننا قبلنا بهذه الدعوات، لاندثرت الهوية العربية، وانقسم المقسَّم، وضاع التراث، ولاحتاج المصري إلى معجم في حديثه مع المغربي أو الشامي، وهكذا، ولاسيما في التقدم الزمني.

إن الدعوات إلى إحلال العامية يقابلها سؤال عن الغاية، وبحث في النتائج، والغاية لئن كانت في مقاربة التسهيل فإنها تنمّ على جهل عميق باللغة العربية الفصحى، لأن إحلال العامية من شأنه تقعير التواصل واستصعابه وحصره في زاوية ضيقة، كما أن من شأن النتائج أن تحقق غايات لا يمكن إلا أن تكون عدائية، تهدف إلى النيل من الأمة في عقر وجودها، لغتها ووسائل التواصل بينها، إضافة إلى العمل على إحداث قطيعة بائنة مع التراث، ذاك الذي استنار العالم به يوما، وعلى رأسه الابتعاد عن المعتقدات، وهذا غاية ما يريدون الوصول إليه.

وأمام هذه الدعوات لا بد من التمسك بالفصحى هوية وجود، وعدم التسامح إطلاقا في استخدام العامية في وسائل التواصل وأماكن التعليم. والتركيز على تنمية القدرات الفردية في التواصل بالفصحى، والمطالبة الحثيثة في التشديد على استعمال الفصحى من قبل المعلمين في المدارس، ومتابعتهم بدقة، وتنبيه الناشئة على خطورة ما يُقدِمون عليه، وتبصيرهم بالنتائج، كما أن هناك مسؤولية كبرى تتعلق بالحكومات ودورها في وجوب المحافظة على سلامة اللغة الفصحى، واتخاذها لغة رسمية في شتى مجالات الحياة.

يرى (ابن خلدون) أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بمن غلبه، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها، ولذلك نرى ظاهرة اجتماعية أُطلق عليها (النفاق اللغوي) ويعني استخدام نظام لغوي أو بعضه، إخفاءً لخلفية لغوية ما وإلباسا على السامع بأن المتحدث ينتمي إلى جماعة لغوية مختلفة عن جماعته. كيف تنظرون إلى هذه الظاهرة وكيف يمكن

الخروج منها، علما أن العرب واللاجئين اليوم في حالة انهزام على أكثر من صعيد؟

إن أية ظاهرة لغوية لا بد أن يكون لها ارتباط وثيق بأحوال متكلميها، وبالنظر إلى ذلك، نجد تراجعًا ملحوظًا في إدراك ماهية اللغة العربية، بما يسمى الجهل اللغوي، إضافة إلى تراجعٍ في الميادين السياسية والاقتصادية والعلمية، وما يستتبعه من أثر واضح له أبعاده في الحياة العملية لمتكلمي اللغة، أي أن عوامل الاستقطاب متهيأة لكل وافد جديد، وبما أن هذه العوامل متحققة يرفد بعضها بعضًا، لا بد أن تكون لها تبعات لغوية، وتجلت في شكلين: الأول منهما، زهد في الحصيلة اللغوية الذاتية، وثانيها انبهار في الآخر وطريقة حياته بما يتضمنه من تقدم علمي ورفاه معيشي، وما ينطوي على ذلك من تحقيق حرية الناس وتلبية متطلبات النفس والجسد.

وأمام هذا، نرى مقولة ابن خلدون بيّنةَ الأثر، فالتمسك اللغوي له عوامل مرتبطة بالقوة الحضارية، وبما أنها ضعيفة، فستنتج ذاتًا ضعيفة، تتطلع إلى تقليد كل قوي، إن لم نقل الانصهار به، ولئن كانت اللغة بوصفها ترجمة للفكر الإنساني، هذا الذي انبهر بالآخر في الوقت الذي نضبت فيه معرفته بلغته، فلا بد أن تتجلى فيها قوية، واتخذت نمطين، كل منهما ينبئ عن خطر: الذوبان الكلي، ويتمثل بالاستبدال اللغوي التام، وذوبان جزئي، يتجلى في التطعيم اللغوي على درجات، على أن الثاني بكثرة تنميطه التطعيمي سيفضي إلى الأول، وهو ما نراه واضحًا في عمليات الاندماج التي رافقت المأساة السورية على سبيل المثال، ممن أنساهم الانبهار أنفسهم، بما ينطوي عليه من ثقافة ولغة.

وأمام هذا لا بد للآباء من تفعيل التواصل اليومي بينهم وبين تراثهم ولغتهم، ومن ثم تنميته في أولادهم، لأن القطيعة اللغوية قطيعة ثقافية وحضارية، ولا تبعد أن تكون دينية.

ويتجلى في العكوف على قراءة القرآن الكريم كل يوم، وتناول بضعة أحاديث نبوية، ثم الانتقال إلى كتاب تراثي.. فغيره عند الانتهاء منه، وملازمة ذلك والمداومة عليه، مع التنبيه على مفهوم الحوار مع الأبناء، وأن تعلمهم للغة أخرى ليس إلا أداة تطوير ذاتية لا إذابة فيها، ولا استبدال، وأن الجمع بين الثقافات مزية جليلة، شرط أن تكون الهوية بارزة، وأن يعلم الجميع أن القليل كثيرٌ بديمومته، وأن الكثير قليلٌ بانقطاعه وتجزُّئه، وأن تكون لغة بلد اللجوء مقتصرة على المدارس وأماكن العمل، وأن يكون البيت وأي نشاط عائلي خارجه مقتصرًا على العربية الفصحى، وأن يعمد اللاجئون إلى الإفادة من وسائل التواصل الحديثة، التي تقوم مقام دروس العلم في الوطن الأم، كاليوتيوب وغيره، وأن تكون هناك عمليات تقويم مرحلية، يطمئن فيها رب الأسرة، إلى صحة سيرورة الحفاظ على الهوية واللغة والمعتقد في أبنائه، حتى يصلوا إلى الإدراك الذاتي في ضرورة الحفاظ على اللغة والثقافة.

فرض المستعمر لغته على أبناء الدول التي احتلها، إدراكا منه بأن اللغة ليست مجرد رموز وكلام منطوق، بل هي منظومة ثقافية تتصل بهوية المجتمع الكلامي الخاص بها، وأيقن أنه لا بد من السيطرة على اللغة ليتغلغل في البلاد والمجتمعات المحتلة. يتعرض الإنسان العربي اليوم إلى ما يسمى الاحتلال الثقافي والحصار اللغوي، وكذلك تتعرض له لغته وهويته وحضارته، كيف يمكن التحرر من هذا الاحتلال وهل هي عملية سهلة؟

تبدلت وسائل المستعمر في النيل من ثقافة الأمم المستعمَرة وهويتها ولغتها، ولا سيما في عصر العولمة، فما كان يحتاجه المستعمر في الماضي صار أسهل وأيسر، وساعدته على ذلك عوامل ذكرتها آنفًا، متعلقة بالأحوال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للأمم الضعيفة، ولعل أخطر ما تنطوي عليه: إدراك المستعمر الجديد أن اللغة ليست محض كلمات وألفاظ وتعابير، يقابل ذلك جهل عميق، يتمثل في اعتقاد الأمة المتأثرة أن اللغة محض كلمات وتراكيب لا تؤثر في حضارتها وثقافتها.

وآكد ما يُناط بنا من مهمات، أن نجعل المريض يقتنع بمرضه، أن يؤمن أن اللغة ليست نسقًا تعبيريًا وحسب، عند ذلك ندلف إلى العلاج، وإلا ما الذي يجعل السيدة الفرنسية تقول: لقد أهنتَ فرنسا، لرجل أخطأ بالفرنسية في سوق الحميدية في دمشق، إنه إيمانها الصحيح، أن اللغة هي الحضارة، وأن العبث بها عبثٌ بثقافتها ووجودها.

إن العلاج غير ذي جدوى في مريض لا يقتنع بواقعه، ولذا حين تتبصّر الأجيال بمعنى اللغة، عندها تكون محصَّنة من الاستعمار الجديد غير المباشر.

هل ترون أن اللغة العربية ستعود لغة التواصل بين أبنائها، ما مستقبلها؟

يتوقف هذا السؤال على مدى استجابة أبنائنا لدعوات الحفاظ على هويتهم اللغوية والثقافية، فالعودة مرتبطة بهم، بوعيهم الأكيد الهادف، ومن خلال اطلاعي على أحوال المهاجرين من بلاد الحروب مثلًا، أو على أحوال المستقرين في بلدانهم العربية، أرى أن الحاجة ما زالت ملحَّةً إلى تفعيل العربية الفصحى، فالمراكز والمدارس والجهود الذاتية ما زالت بحاجة إلى مزيدِ جهدٍ، وعظيمِ بذلٍ، وبمقدار ما تكون هذه الجهود مبذولةً يكون الأمل أكثر واقعية، والعكس منوطٌ بعكسه.

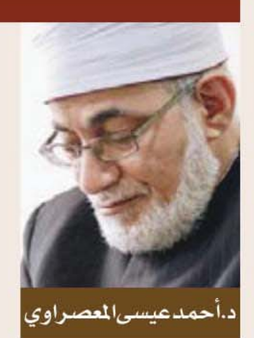
والارتهان إلى الوعد الإلهي بحفظ كتابه ودينه لا يجب أن يكون مدعاةَ كسلٍ في بذل كلٍّ منا مسؤولياته الكبرى تجاه اللغة، فكما أن هناك وعدًا بذلك فهناك سنة الاستبدال، التي تحلُّ فيمن زهد حتى انمحى. ولهذا الارتهان عواقب غير محمودة، ولذا لا بد أن ينهض كل فرد بمسؤوليته، وأن تكون هناك مؤسسات في كل بلد، يكون هاجسها الأول هذا السؤال، والعمل على تحققه الإيجابي.


محمد الغزالي

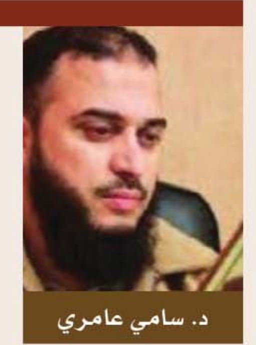
إن شعوب الشرق الإسلامي تحتاج-قبل أن تفهم الإسلام، وقبل أن ينتظر منها إعزاز الإسلام-إلى جهود جبَّارة، لرفع مستواها المادي والأدبي. أي إلى تصحيح إنسانيتها أولا.


د. محمد العبدة

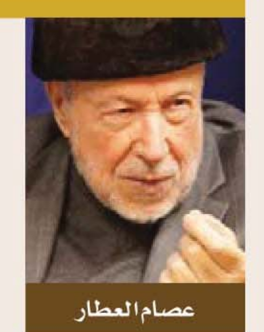
قد يرغب الإنسان في العيش بصفاء وهناء لا تكدره المشاكل ولا المشاحنات واختلاف الآراء، ولا تكدره تقلبات الأحوال، ولكن سنن الله سبحانه في الكون هي أدرى بما يصلح له، إن سنة الصراع والتعب في تحصيل المراد هي التي تحفز قوى الإنسان وتجعله يطور مواهبه ويزداد علماً، وإن اختلاف الآراء مما يحفز على البحث عن الحق للوصول إليه والتمسك به.


د.أحمد عيسى المعصراوي

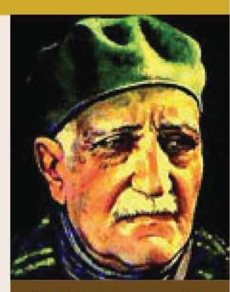
إذا أردت أن تعطي فانتبه لاختيار نيتك كما أنك تنتبه لاختيار ورقة النقود.. توجد نوايا كثيرة للصدقة.. اختر أنت النوع الراقي منها.. وهي أن تتصدق لأنك محتاج للمغفرة وليس فقط لأن الفقير محتاج للصدقة.


د. سامي عامري

{وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى} الهداية لا يكفيها البرهان وإنما تطلب قلبًا متشوقًا إلى الحق!


عصام العطار

إذا كنتَ تستطيع الأحسنَ فلا ترضَ بالحسن، فالحسَنُ لِمَن يستطيعُ الأحسنَ نقص وقصور، وإن كان لغيره فضيلةً من الفضائل.


عباس محمود العقاد

إذا عجز القلب عن احتواء الصدق عجَز اللسان عن قول الحق.



إبحار في أعماق الفصحى

عبد الرحمن العشماوي

من جذور اللغة الفصحى انطلقنا   نملأ الدنيا صدى عذبا شجيا
وبها نتلو كتاب الله غضا   مثلما أنزله الله طريا
هي بحر من بيان لم يخالط   ماءه ملح ولم يحمل عصيا
لغة أسفر عنها الفجر وجها   ساحر العينين ريان المحيا
لغة يحملها هدي كتاب   صار كنزا للمعالي أبديا
قد حباها سيد الخلق بيانا   صافي المعنى وهديا نبويا

لغتي الفصحى أرى في مقلتيها   فيض دمع قد جرى نهرا سخيا
هي تبكي مثلما نبكي ولكن   دمعها يأتي نزيفا داخليا
هي تشكو عجمة في القوم تسري   لم تدع شيخا ولم تترك صبيا
صرخت في وجه صمتي ذات يوم   لتثير العزم والغَيرة فيا
مالكم يا قوم تؤذون شعوري   بلسان يشتكي في القول عيا؟؟
أنا لا أسمع نطقا عربيا   خالص اللفظ وحسا يعربيا
إنما أسمع ما يشبه عندي   لغة الجن اختلاطا ودويا

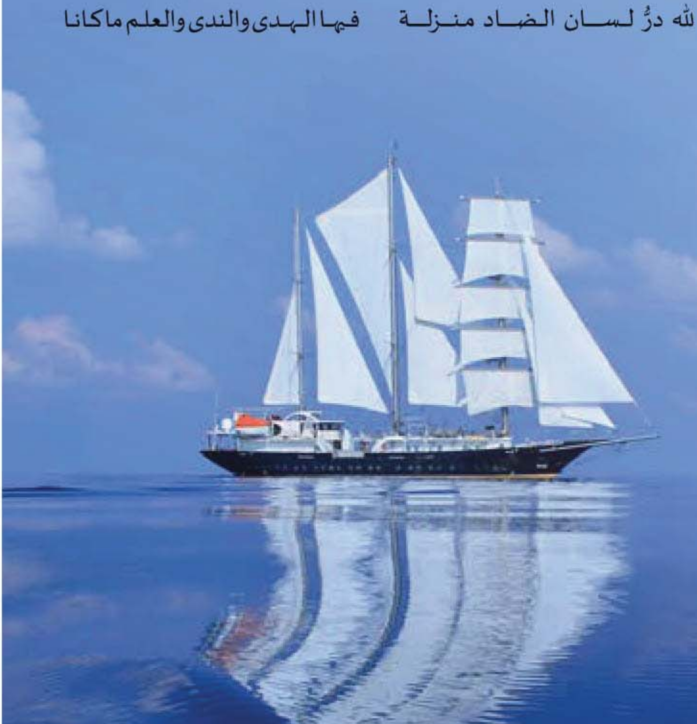
أنا يا قوم لكم بيت كبير   يجمع الشمل ولا يؤوي شقيا
أنا كنز العلم والإيمان عندي   شيمة تعطي عطاء حاتميا
قربوا كل علوم الأرض مني   فأنا الأفق اتساعا ورقيا
لو فتحتم ألف باب للمعاني   كل يوم لمنحت اللفظ حيا
يا بني يعرب للأمجاد وجه   مشرق فاستقبلوا الوجه الرضيا
حفظ الأجداد مني ما علمتم   فاحفظوا إرث الجدود الأزليا
"لغة القران" ما في الأرض مثلي   لغة تحمل وصفا عالميا



لغة الضاد

د. عثمان مكانسي

أسبّح الله.. يحدوني لحضرته   قلبٌ تفجّر حبّا.. فاض تحنانا
قد شاره من لسان الضّاد مفخرةً   لمّا تشرّف بالتنزيل قرآنا
لسانُنا قد سرى سحراً يؤلقه   معنى بديعُ ولفظ دقّ عِرفانا
أما المعاني فبحرٌ زاخرٌ عببٌ   واللفظ فيه استوى قيعاً وشطآنا
نسعى إليه نِهالاً من مراشفه   ونصطفي من جميل الدر حصبانا
إن رمتَ معنىً جليلاً نلتَ أوفره   أو شِمتَ لحناً لطيفاً حزتَ ألحانا
إن كانت الحَلْيُ قد صيغَتْ بعسجدها   فهيّجتْ بوميض المال دنيانا
فإن أنوار آي الضاد من شرفٍ   قد تيّمَتْ قبل أهل العين عميانا
فهْي العرائس لا تبلى على قِدَمٍ   في كل آن ترى من حسنها شانا
تهديك كلَّ جديد من ولائدها   كفلقة البدر بل فاقتْه إحسانا
وصوغُها لصحيح الفكر يكسبه   فوق الوضوح بياناً جلّ تبيانا
والشعر أغرودة اللهفان يرسلها   نفثاً يحرك في الأعماق أشجانا
يلقيه نبضاً يهيم السامعون به   ويلهب القوم إحساساً ووجدانا
يثير فيهم غراس الخير يانعة   ويدفع القوم للميدان شجعانا
والنثر نسجٌ حوى من سندسٍ ألَقاً   فيه السناء ومن إستبرقٍ زانا
يعلو به مَن سمت في قلبه فِكَرٌ   جُلّى تساوق في الأثمان عِقيانا
لله درُّ لسان الضاد منزلة   فيها الهدى والندى والعلم ماكانا



تحصين البيت والأولاد

د.بثينة محمد علي الصابوني

التحصين الطبي عبارة عن:

إعطاء الطفل ميكروباتٍ وجراثيمَ تحمل مرضًا ما، ولكنها تكون مريضةً أو متهالِكةً، فعندما تدخل جسد الطفل يتمكَّن جهازُه المناعي من السيطرة والقضاء عليها، ويكون على درايةٍ بنوع المرض الذي تحمله فلا يُصبح غريبًا عنه إذا أصيب به في المستقبل، وإن بعض المراكز الطبية لا تُعطي الأب شهادة الميلاد الأصلية لطفله، إلا إذا أنهى التحصينات الطبية المهمة.

إننا لا نستطيع المضيَّ في الحياة والخوض في غمارها المختلفة، دون أن نكون مُجهَّزين ومؤهَّلين بما يحمينا ويحفظنا من التغيُّرات والتقلُّبات التي تحدث باستمرار.

نُريد المرأة التي تُحصِّن نفسها بالدعاء والذِّكر صباحًا ومساءً، وتُحصِّن أسرتها كذلك، وتستودعهم الله كما كان يفعل الصالحون من أسلافنا: "أستودعكَ اللهَ الذي لا تضيع ودائعُه"، وغير ذلك، وتُحصِّن أبناءها ضد الأفكار الهدَّامة، لا بإلغائها من حياتهم أو منعهم مِن الاطِّلاع عليها، ولكن بإطْلاعِهم على الضعيف الواهي، أو على جزءٍ يسيرٍ منه كما يفعل التحصينُ الطبيُّ بالطفل، ثم تُعلِّم أبناءها وهَنَهم وضعفهم وضررهم وسوءهم وخُبْث ما فيهم.

إننا سوف نسمع عن مؤسسات سوف تضرُّ بمجتمعاتنا، وتُسيء إلى مبادئنا وقيمنا، وتحاول إفساد ديننا ومحاسن أخلاقنا، وستدخل في مجتمعاتنا، وتتسلَّل بكلِّ الوسائل والطرق والشعارات المغرية، وتتلوَّى حتى لا يصدَّها أحدٌ ولا ينتبه إليها أحدٌ، والمرأة مُطالَبة أن تكون قويةً في عملها وعقيدتها وإيمانها، قويةً في فكرها ومنطقها، قويةً في فهمها معالمَ الدين وأحكامَه وشرائعَه، حتى لا تنخَدِع بكلمات يُثيرها هنا أو هناك أشخاصٌ مُغرِضون.

نُريد المرأة التي تتجهَّز بالحصانة العلمية، والحصانة الفكرية، والحصانة السلوكية، ويتوِّج ذلك كله الحصانةُ الشرعيةُ، وحصانةُ الذِّكر والدُّعاء، حصانة من إبليس حين تدخل بيتَها وتأكل طعامها، وتضع ثيابها - تذكر اسم الله تعالى، وحصانة من وسوسته ومسِّه، وسحر الساحرين من جنوده، وحصانة من الغزو الثقافي الذي يغزو بيوتنا في التلفاز، ويغزو عقولنا في معاقل الثقافة والعلم، ويغزو أعيننا ويُدغدِغ مشاعرَنا في الأسواق والدعايات المختلفة، وحصانة من التدرُّج المهلك الذي يعرض لنا خطوةً خطوةً، كلما تساهلت المرأة في خطوة منه انزلقت رِجْلُها في خطوة أخرى تليها، فلا تزال تنزلق دون أن تشعر حتى تصل إلى درجة لا تحمد عُقباها.

وتلك الخطوات - أعني بها خطوات الشياطين - من الجنِّ والإنس، يُزيِّنون الرذيلة، ويُحاولون إنزال المرأة في غوايتها خطوةً خطوةً، ويُزيِّنون طريقة الحياة الغربية بخيرها وشرِّها، ويحاولون إزلاق أرجُل المرأة فيها خطوةً خطوةً، ويُزيِّنون معالم الحياة الدنيا ورفاهيتها المتنوِّعة، ثم يحاولون استدراج المرأة المسلمة خطوةً خطوةً، ولا سبيل إلى الانطلاق في عالمنا والصمود دون حمل مبدأ الوقاية والحصانة والتحصين بكلِّ أنواعه وكلِّ طُرُقه، ومن كلِّ ما يُخاف منه ويُخشى منه؛ لأنها هكذا هي الحياة، وهكذا هي معاني التقوى، فالتقوى هي الوقاية من نار جهنَّم حتى لا يقع أحدُنا في عذابها، وكذلك تكون الوقاية في حياتنا من كلِّ ما نخاف منه، ومن كلِّ ما يُفسِد علينا ديننا وطيبة دُنيانا.

في عالمنا اليوم ثلاثة شعارات يكثُر ترديدُها في الوسائل المختلفة: التحصين الطبي، والوقاية خير من العلاج، والتحصين الأمني، فلتُسارع المرأة إلى حَمْل هذه الشعارات في بيتها.

حصانة طبية:

بأن تكون المرأة المسلمة واعيةً في كلِّ ما تُطعِم به أبناءها وتنوُّعه الغذائي، بل تُحبِّب إليهم أطايب الطعام، وتبغِّض إليهم بأسلوبها الأمومي أسوأ المأكولات، لا سيما تلك الوجبات الجاهزة في المطاعم المختلفة.

الوقاية خير من العلاج:

بأن تُشبع أبناءها تفهُّمًا لهذا المبدأ، فيكون سلوك الأبناء مملوءًا بالحذر في كلِّ أمورهم، ليس في الأمور الطبية فحسب، بل في حياتهم كلِّها، الحذر عند قيادتهم سيارتهم، والحذر من الرسوب عند دراستهم وتحصيلهم الدراسي، والحذر من أضرار اللعب؛ بحسن اختيار ملابس اللعب، ومكان اللعب، وأصدقاء اللعب، والحذر مِن مساوئ الأخلاق بألَّا يُشاهدوا ما يضرُّ بأخلاقهم، ولا يذهبوا إلى مكان يضرُّ بأخلاقهم، وألا يصاحبوا من يجلب لهم العدوى من سوء خلقه.

التحصين الأمني:

عندما تُحصِّن بيتها من الشيطان بالذِّكْر، ومن السارقين والمعتدين بحُسْن الضبط وإغلاق المنافذ، وتحصين عقول أبنائها من أفكار السوء وما فيها من مساوئ الأخلاق، ومُلهيات العقل والفؤاد، ومضيعات الوقت والعلم والرجولة.

نحن ندخل عصرًا انفتاحيًّا لا طاقة لنا به إلا بحصانة أنفسنا، علينا ألا نُلقي اللوم على القنوات الفضائية.. فقد حلَّ بالجميع أمرٌ لا يخرج منه إلا القويُّ الإيجابيُّ الذي يُفكِّر بتفاؤل، وينطلق بحُسْن منطقٍ، لا ينجو في عالمنا إلا صاحب الحصانة الداخلية الذي يعمل جهازه المناعي بأقوى طاقاته وأكبر إمكانياته، وصدق الله إذ يقول: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فكوني متحصِّنةً في ذاتك، محصِّنةً لأبنائك وأسرتك وأقاربك قدر طاقتك؛ ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

نقلا عن شبكة الألوكة

كيف أمسك نفسي عند الغضب لكيلا أضرب ولدي؟

الاستشارة:

كيف يمكن للأم ضبط أعصابها وتمالك نفسها عند الغضب للتوقف عن ضرب أولادها؟ فللأسف أصبحت هذه التصرفات عادات متأصلة فينا، خاصة أننا تربينا على هذه الطريقة. فكيف يمكننا ترك الضرب، وفاقد الشيء لا يعطيه؟

أسماء المحيميد
استشارية تربوية في مكتب شؤون المرأة بهيئة الشام الإسلامية

الجواب:

أختي الكريمة، عصبيتك ناتجة عن أمور كثيرة تخصك أنت، من ضغوط يومية جراء المشاكل الزوجية، ومن أمور نفسية في الماضي الخاص بك، مثل خبرات وتجارب مررت بها في طفولتك، ودون وعي ودون أن تلحظي ظهرت عليك الآن.

راجعي نفسك، وكوني صريحة مع ذاتك، وحاولي أن تدربي نفسك على إفراغ ما بداخلك من ضغوط ومشاكل حتى لا يتراكم عليك ويمتلئ الكأس حتى النهاية.

للتغلب على الضغوط والسيطرة على النفس في مواجهة منغصات

الحياة، تدربي على تمارين الاسترخاء:

أولاً: اختاري مكاناً هادئاً ترتاحين فيه، ويفضل أن يكون مظلماً كغرفة النوم أو أي مكان آخر، وأكرر أن يكون هادئاً.

ثانياً: اجلسي على كرسي أو أي شيء آخر وضعي يديك على رجليك.

ثالثاً: ارسمي نقطة أو ما شابه في جدار على أن يكون في مرمى بصرك أو أعلى منه بقليل.

رابعاً: ركزي على تلك النقطة وأنت في وضعية الجلوس نفسها. أغمضي عينيك وخذي نفساً عميقاً واخرجيه ببطء شديد.

خامساً: تخيلي نفسك أنك تستنشقين سلاماً، وتطردين هموماً، وكرري ذلك لمدة عشرين دقيقة.

سادساً: تخيلي نفسك أنك تتسلقين سلماً طويلاً وابدئي في العد من واحد إلى عشرين، إلى أن تصلي لنهاية السلم الخيالي، وأنت في وضعية الجلوس نفسها، وتقومين بعملية الشهيق والزفير ببطء.

سابعاً: الآن تخيلي نفسك أنك على شاطئ وأنك تمرحين وتسترخين عليه.

أخيراً: أرخي عضلاتك، بدءاً من عضلات العينين إلى عضلات الأرجل في خمس دقائق.

افتحي عينيك وستشعرين بالراحة الكبيرة، وستجدين أن عقلك بدأ يعمل بشكل صحيح وعملي، ومستعد لحل أو مواجهة أي مشكلة.

سأعطيك بعض الحلول التي يمكن أن تساعدك في التخفيف من عصبيتك، فالأمر بيدك أنت فقط، كوني مستعدة للتغيير ولديك الرغبة في ذلك.

أولاً: اختلي مع نفسك ودوني كل ما يزعجك، لأن التدوين يسهم في الرؤية الواضحة للأمور، وبعد ذلك عليك بوضع الأمور حسب الأولوية، أي أكثر الأمور الضاغطة بالمرتبة الأولى، ثم الثانية وهكذا... لا تغفلي أمراً ولو كان تافهاً، دوني كل ما يزعجك، (أعباء المنزل، غياب الزوج، مذاكرة الأبناء، فتور العلاقة، خسارة الأصدقاء، كل ما يخطر ببالك...).

بعد ذلك حاولي جاهدة وضع حل لكل أمر على حدة، ولا تنتقلي إلى الأمر الآخر قبل إيجاد الحل الممكن لما تعانين منه. هذا لمواجهة الضغوطات والعمل على التخلص منها...

ثانياً: حاولي إيجاد متنفس لك، (هواية ما، الاهتمام بالحديقة، القراءة، الرسم، التزيين، التطوع بعمل خيري، لقاء أسبوعي حواري، أو ممارسة رياضة المشي)، أياً ما ترغبين، مع المحافظة على دوام الممارسة، ولتفعيل الاستفادة عليك أن ترددي بينك وبين نفسك، بأن ما تفعلينه هو المتنفس لإعادة التوازن إلى نفسك والتخلص من الضغوطات التي تعانين...

وبالنسبة للعصبية فإليك التمرين الآتي لمدة لا تقل عن شهرين:

١ - في الصباح ضعي النية بأن تتمالكي نفسك وتتحكمي بنبرة صوتك، قولي (إن شاء الله سأتحكم بنبرة صوتي ولن أرفعه البتة). (يمكن لك أن تقولي ما تشائين لكن بصوت منخفض).

٢- في المساء عددي المرات التي تحكمت فيها بنبرة الصوت، والمرات التي كان صوتك فيها مرتفعاً.. فقط العدد وليس السبب.

٣- هنئي نفسك على المرات التي استطعتِ فيها التحكم بنبرة صوتك، (الحمد لله كان صوتي منخفضاً أربع مرات اليوم)، وحفزي نفسك بأنك تستطيعين العمل على تخفيض العدد الذي كان فيه صوتك مرتفعاً في اليوم التالي). (إن شاء الله أستطيع أن أتحكم بنبرة صوتي إلى أقل من ذلك في الغد)

في الصباح التالي ابدئي من جديد. داومي على هذا التمرين لمدة لا تقل عن شهرين، وإن شاء الله سيسهل عليك التحكم بانفعالاتك وعصبيتك، وتعود العلاقة الودية بينك وبين أفراد عائلتك.

ادعي الله أولاً وأخيراً أن يعينك على التحكم بعصبيتك، وتذكري أن الغضب من الشيطان، واستعيني بسنة الرسول صل الله عليه وسلم في كبح الغضب، من وضوء واستعاذة من الشيطان وتغيير وضعيتك عند الغضب، مثلاً من الوقوف إلى الجلوس وهكذا.

واحرصي أختي على التسبيح عند غضبك وعدي للـ١٠ قبل أن تصرخي في وجه أحدهم، وتذكري أن أسرتك نعمة أكرمك الله بها بينما حُرِم منها الكثيرون، فاسألي نفسك: أأقابل نعمة الله بالغضب والجحود؟!

أعلم أنك تتألمين ولكن تربية الأبناء بحاجة للصبر ثم الصبر ثم الصبر، وهو سلوك مكتسب يمكنك تعويد نفسك عليه، فابتعدي عن الشيء المثير للغضب أو مكان الشجار، وهذه خطوة أساسية ينصح بها دائماً في أي خلاف، سواءً بين الزوجين أو بين الأبوين والأبناء. وقولي لطفلك دعنا نهدأ قليلاً وسنتكلم مساءً أو غداً.

ومارسي بعض الرياضة كالمشي أو الجري، وسماع أي شيء يمكنه أن يهدئ أعصابك، واجلسي مع طفلك بعد مرور وقت، وتكلمي في السلوك الذي ضايقك دون لوم أو حكم أو إطلاق صفات سلبية، مثل أنت غلطان، بل قولي: ما رأيك فيما حدث اليوم؟ هل كان هذا سليماً؟ وكيف يمكننا ألا نكرره؟.

أخيراً: أذكرك أن الغضب شعور إنساني لك الحق فيه تماماً، بل هو يتملكنا تماماً، وعدم التعبير عنه شيء غير صحي على الإطلاق، لأنه يؤذيك، وكبته سيؤثر على صحتك ونفسيتك، لكن ما علينا تعلمه هو كيف نتعامل مع غضبنا، وكيف نعبر عنه، وكيف نتعامل معه ومع الآخرين بما لا يؤذينا أو يؤذي من حولنا خاصة أطفالنا.

أيضاً حاولي أن تنظمي وقتك، وخذي قسطاً كافياً من الراحة، كثيراً ما يكون الإجهاد البدني سبباً في الإجهاد النفسي، وهذا يؤدي إلى العصبية والتوتر.

تشاجر الأطفال



د. ياسر بن مصطفى الشلبي
مستشار أسري واجتماعي

إنّ حبّ الشجار بين الإخوة الأطفال هو أحد أشكال الإزعاج التي تعاني منها جميع الأسر، ذلك أنّ حبّ المخاصمة من الصفات الطبيعية لجميع الأطفال كما هو معروف لدى كلّ من رزقه الله الأبناء، فأطفال السنتين يضربون ويدفعون ويخطفون الأشياء، بينما يستعمل الأكبر سنًا أسلوب الإغاظة بالتحرش والكلام .

وفي الحقيقة أنّه قلّ ما يجتمع أطفال في مكان واحد سواءً أكانوا إخوة أم غير إخوة صبيانا أو بناتا إلا وتشاجروا، حتى وإن لم تكن أسباب الشجار موجودة فإنهم قادرون على إيجاد أي أمر يختلفون عليه، وقد تطول هذه الخصومات، وقد يعقبها تراضٍ وعودة إلى الألفة واللعب..

وهكذا فكل الإخوة، ولاسيما المتقاربين منهم في العمر لابد وأن يتشاجروا، وتقلّ عادة هذه المشاجرات كلّما تقدّم الأطفال في السنّ ، ويكون التنافس أكثر شيوعًا في العادة لدى الإخوة الأكبر سنًا عندما يكونون متقاربين في العمر بفارق سنة أو اثنتين، و كذلك عندما يكونون في مرحلة الطفولة المتوسطة ما بين ٨-١٢ .

ويتباين الأطفال عادة في تكرار وشدة المشاجرة بينهم، فمنهم من يتمتع بصداقة حميمة في معظم الأوقات، بينما يميل البعض الآخر إلى الشجار المستمر، ويزداد الأمر سوءًا عندما يجتمع أكثر من مجموعة من الأولاد والبنات حيث قد يتحالف بعضهم ضد البعض الآخر أثناء اللعب، كما أن الأولاد عادة يحاولون السيطرة على البنات.

ومن خلال ما تقدم نطمئن الآباء بأن الشجار من الأمور العادية بين الأطفال عمومًا وبين الإخوة خاصة، فكل أسرة فيها أكثر من طفل لابد وأن يحدث فيها شيء من النزاع والمشاجرة بين أبنائها، ولاشك بأن تلك الظاهرة مزعجة للأهل، وقد يشعرون أحيانا بخيبة الأمل بسبب الصورة المثالية التي كانوا يحلمون بها عن طبيعة الحياة الأسرية الهادئة حيث يتضح لهم بأن الهدوء لا يمكن أن يستمر في البيت لأكثر من دقائق معدودة، مما يجعل بعض الآباء يشكون في قدرتهم على التربية، مما يسبب لهم الألم والحزن وأحيانًا الإحباط، ولو أنهم علموا أن الشجار بين الأطفال يمثّل مرحلة طبيعية من النمو، وأنهم من خلال هذه النزاعات يتعرفون على بعضهم وعلى إمكاناتهم ونقاط الضعف والقوة عندهم، فهي مرحلة بناء شخصياتهم واستقلالهم عن الآخرين، لو علموا ذلك لزال انزعاجهم وتخوفهم ولتعاملوا مع تلك الظاهرة على أنها تساعدهم على تربية جوانب شخصيتهم الاجتماعية وتجاوز مشاكلهم من خلال استغلال كوامن قدراتهم .

و بالرغم من أن هذا الشجار يُعَدُّ أمرًا طبيعيًّا إلا أن مشكلة الإفراط في التعدي والمنازعة قد تصبح ظاهرة قلق نفسي عند الأطفال تحتاج إلى معرفة السبب وحل المشكلة بهدوء وروية.

وتظهر الدراسات التربوية أن من أهم الأسباب الواضحة لعدوان الأطفال على بعضهم البعض ما يأتي:

• الغيرة، فقد يؤدي تفضيل أحد الأبوين طفلا على غيره إلى إشعال الغيرة التي تؤدي إلى نشوب الخصومة بينهم، فإذا ما أخطأ الصغير لم يعاقب بينما لو أخطأ الكبير الخطأ نفسه عوقب، وذلك لسبب يردده الأهل دائما وهو أن الصغير لا يفهم، ولكن الطفل لا يقدر هذه المشاعر مما يؤدي إلى شعوره بالظلم والحيف، فتُشحَن نفسه بالحقد والكراهية لأخيه الصغير، فيعمد إلى الإساءة لأخيه من وقت لآخر انتقاما لنفسه، ومن أجل حلّ هذه المشكلة والحيلولة دون وقوع هذا السبب المؤدي للشجار يتوجب على الأهل أخذ الاحتياطات اللازمة لإيجاد التفاهم والاطمئنان وعدم عمل أي شيء من شأنه أن يؤدي إلى الغيرة والكراهية.

• المقارنة بين الأطفال، وهذا أمر ملاحظ بكثرة، فقد يعجب الأبوان بأحد أبنائهما فيجعلانه مضرب المثل دائما، فأي ابن آخر أخطأ ينبه أن أخاه المفضل لا يفعل فعله، وهو أحسن منه، وكل هذا يؤدي إلى ضرب الأخ لأخيه أو محاولة إيذائه، ولا يجوز للأهل الخوض في مثل هذه الأمور التي لا يلقون لها بالا، بينما هي في واقع الأمر تؤدي إلى

شعور العداء بين الإخوة إلى جانب القلق النفسي وعدم الثقة بالنفس.

• التنازع على الألعاب، نجد بعض الآباء يفرضون على الطفل السماح لأخيه باللعب معه بألعابه الخاصة وهو غير راض بذلك ، فإن هذا الإجبار قد يزيد من أنانية الطفل وحقده على أخيه، وربما سبب له ردَّ فعل سيء، مع أن المفروض أن تنبعث الرغبة في المشاركة في اللعب من نفس الولد دون مشاركة أو قهر، والأنسب أن يختار الأب لكلّ ولد ألعابه الخاصة به التي تناسب سنه، مع ضرورة أن يشرح الأب لأبنائه أهمية التعاون واللعب الجماعي، وفي حال الخلاف على لعبة أو شيء يمكن أخذ اللعبة منهم جميعًا وإخبارهم أنه يمكنهم استرجاعها بعد أن يصلوا إلى حل واتفاق كيف سيلعبون بها دون نزاع ؟ وهذا مما يعزز علاقاتهم الطيبة في المستقبل.

• الفارق السني المتقارب بين الأطفال، فمن الملاحظ أن أعلى نسبة من الخصام بين الإخوة تكون عادة حينما يكون هناك فارق سنة أو سنتين فقط، فإذا زاد الفارق عن ثلاث سنوات فالغالب أن يكون الكبير منهم أنضج من أن يعبأ بحركات أخيه الصغير، لذا ينصح الأهل بترك فترة بين الولادات تتراوح ما بين ٣ إلى ٥ سنوات.

وختاما نؤكد بأنه يحسن بالأهل عدم التدخل في خصومات الأطفال التافهة، والأحسن هو محاولة الحيلولة دون وقوع الخصام، ولكن إذا بدأت المشاجرة بين الأولاد فلا شك أنّ التدخل المباشر ضروري إذا كان أحد الأولاد عرضة لإصابة جسدية، لوضع حدٍّ فوري للأمر، وذلك بأمرهم بالتوقف عن الصراع فورًا وإبعادهم عن بعضهم جسديًّا، ولابد من التذكر دومًا أن استعمال الضرب لفضّ النزاع يُعَدُّ خطأً مثل الخطأ الذي نطلب منهم الامتناع عنه.

وبعد تحقيق الهدوء بينهم يستحسن الاستماع منهم إلى كيفية بدء النزاع، لأن الاستماع لهم يشعرهم بالمحايدة والعدل.

أما إذا لم يكن هناك ضرب أو استعمال العضلات في النزاع فلا حاجة للمسارعة في التدخل، فالأطفال يحتاجون لمثل هذه الخلافات ليتعلموا منها أمورا كثيرة، وكلّ هذا يتطلب منهم التكيّف المستمر بسبب نموهم ونضجهم، فإذا وضع لهم الأهل قواعد محددة وصارمة تمنعهم من المواجهة وتحدد لهم كيف يفضون الأمور بينهم فهم بذلك يحرمونهم من فرصة الاكتشاف بأنفسهم كيفية حلّ الخلافات بينهم.

كما يحسن، بل يجب على الأهل مكافأة الأطفال كلّما استمروا في اللعب وابتعدوا عن الشجار فيما بينهم، وفي نفس الوقت التأكيد للأطفال بأنه لا يسمح لهم بإيذاء بعضهم البعض بالضرب أو السخرية، ولعل غرس السلوك الديني والآداب الإسلامية في نفوس الأطفال وإشباع حاجاتهم النفسية من مشاعر الأمن والطمأنينة في جو من الحب والاحترام يُعَدُّ من أفضل الأساليب المفيدة في تقليل المشاجرات التي تقع بين الأطفال.

الشيخ حارث الضاري.. رحمه الله، علم من أعلام أهل السنة

وُلد الضاري في قضاء أبو غريب التابع لمحافظة بغداد عام ١٩٤١، وهو أمين عام هيئة علماء المسلمين العراقية، كان يُقيم في العاصمة الأردنية عمان منذ الاحتلال الأمريكي للعراق، وهو من أكبر المُناهضين للاحتلال الأمريكي ولطريقة الحكم الحالية في العراق.

على الطريق السريع الرابط بين الحدود الأردنية والعراق توجد لافتة تشير إلى موقع يسمى خان ضاري في المنطقة الواقعة بين الفلوجة وأبو غريب غرب بغداد. ودلالة التسمية تشير إلى أنه مقام آل ضاري زعماء عشيرة الزوبع المنحدرين من قبيلة شمر المنتشرة عبر الجزيرة العربية والشام والعراق.

نشأته:

بدأ تعليمه في مدرسة لتحفيظ القرآن، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الدينية التي أكمل فيها الدراسة الأولية، وحصل على الشهادة الثانوية منها، ثم التحق بجامعة الأزهر سنة ١٩٦٣م، حيث حصل على شهادة الليسانس العالية بكلية أصول الدين والحديث والتفسير، ثم دخل الدراسات العليا وحصل على شهادة الماجستير في التفسير سنة ١٩٦٩م، وبعدها سجل في شعبة الحديث، فأخذ منها أيضاً شهادة الماجستير سنة ١٩٧١م، وبعد ذلك سجل رسالة الدكتوراة في الحديث، وحصل عليها سنة ١٩٧٨م، وبعدها عاد إلى العراق وعمل في الأوقاف، ثم بعد ذلك نُقل إلى جامعة بغداد بوظيفة معيد، فمدرس، فأستاذ مساعد، فأستاذ.

قضى في التعليم الجامعي أكثر من ٣٢ عاماً، وتقاعد بعد أن عمل في عدة جامعات عربية، كجامعة اليرموك في الأردن، وجامعة عجمان في الإمارات المتحدة، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي أيضاً بالإمارات العربية المتحدة، وقد عاد إلى العراق بعد احتلاله في ١ تموز/يوليو ٢٠٠٣.

معارضته للحكم:

هاجم الضاري حكومة نوري المالكي، وحمله هو وحزب الدعوة الذي يترأسه، مسؤولية ما يجري في العراق منذ توليه رئاسة الوزراء عام ٢٠٠٦، واتهمه في تصريحات صحفية متكررة بأنه يستخدم كافة المسؤوليات الموكلة إليه ضد معارضيه "تحت ذريعة الإرهاب، حيث قتل وهجر مئات الآلاف منهم وغيّب مئات الآلاف رجالا ونساء في السجون، متوهماً أنه بصبرهم وتحملهم قد وصلوا إلى حد لا يستطيعون فيه

الدفاع عن أنفسهم، وأنه يمكن القضاء عليهم واقتلاعهم من العراق كما استغل فرصة خروج أهل المحافظات الست في تظاهرات سلمية للمطالبة بحقوقهم وكف الظلم الواقع عليهم لمدة عام كامل، للتشكيك في نواياهم، وعدّ مطالبهم غير مشروعة."

لذلك تعتبره الحكومة العراقية إرهابياً وأصدرت مذكرة اعتقال بحقه، وهو يعتبر نفسه من الخط الوطني الذي يدافع عن وحدة الشيعة مع السنة، ويعتقد أن الشيعة ليسوا مسؤولين عن حوادث القتل الجماعي التي تعرض لها السنة بعد الاحتلال في ٢٠٠٣. ويركز على قضية وحدة العراق.

إرث المقاومة:

يحمل الرجل إرث مقاومة تسلسل إليه من جده لأبيه، فهو ابن سليمان بن الشيخ ضاري الحمود أحد أهم قادة ثورة العشرين، الذي قطع مع رجاله خط الإمداد عبر الفرات للقوات البريطانية وأوقعها تحت الحصار وتولى تمويل الثورة بالرجال والسلاح والمؤونة.

وانتقم الإنجليز من الرجل وقبيلته فاعتقلوا رجالها وضايقوها في معايشها وعندما صدر العفو عن رجال ثورة الـ١٩٢٠ عام ١٩٢٧ استثني الجد الذي توفي لاحقا في المعتقل عام ١٩٢٨ وكانت جنازته يوما مشهودا في تاريخ العراق.

ويتكرر المشهد اليوم فيرفع الحفيد عقيرته ضد الاحتلال وينتقم الاحتلال منه في قصف عشيرته في مختلف المناطق وفي طائفته السنية وفي قومه العرب وفي وطنه بتدمير ما لم يدمر منه حتى الآن.

يعتبر حارث أبرز رموز السنة العرب اليوم، وقد ملأ الفراغ مستفيدا من تاريخ أسرته ومن مكانته العلمية بوصفه أحد علماء الحديث والتفسير والفقه.

الدعوة للثورة:

سفّه الشيخ الضاري اعتماد "يوم احتلال بغداد يوم عيد، من قبل الحكومة وقال إنه يوم حزن وألم شديد، وانتقد السكوت على الجرائم التي ارتكبت بحق الشعب العراقي، وقال بأن هذه الحكومة لا تمثل إرادة الشعب العراقي وإنهم يمثلون إرادة الاحتلال فإنهم يتبعون إرادته".

دعا حارث الضاري في أبريل/ نيسان ٢٠١٢ الشعب العراقي إلى القيام بثورة شعبية سلمية ضد حكومة نوري المالكي. ووصف حينها رئيسَ الوزراء بالاستبدادي والمغرور، متهما إياه بالسعي إلى إنشاء دولة الحزب الواحد والشخص الواحد والمذهب الواحد مثلما هو الشأن في إيران، على حد تعبيره. واعتبر حينها أن العراق محكوم لجهتين أجنبيتين هما الولايات المتحدة وإيران، وحذر من عواقب استمرار الهيمنة الأميركية والإيرانية على بلاده.

كما انتقد سياسات المالكي، مشيرا إلى الفساد المالي وارتفاع نسبة البطالة في صفوف العراقيين وتدني مستوى عيشهم، واكتظاظ السجون بالنزلاء لا سيما أهل السنة، إضافة إلى الاعتقالات العشوائية والإعدامات والتهجير.

هيئة علماء المسلمين:

ترأس هيئة علماء المسلمين التي تأسست بعد أسبوع من سقوط بغداد، وكانت وعاء عاما انضوى تحته علماء السنة وربط علاقات وطيدة برموز الشيعة وحفل نشاطه تعميرا للمساجد وتوعية بمخاطر استهداف الوطن قيما وأرضا ووحدة، فجسدت المرجعية الشرعية للسنة ولعبت الدور السياسي والثقافي والاجتماعي في مختلف مناطق ما اصطلح على تسميته بالمثلث السني.

ولم تختلط على الرجل والهيئة استراتيجيات التوجه ولا تكتيكات المرحلة، فأكد على المقاومة حقا مشروعا وواجبا لا ينتظر الفتوى، وشارك في العمل السياسي رفدا للجهود الأخرى ودرءا لمفاسد الانعزال عن ساحة أراد الاحتلال من أول يوم تهميش القطاع الذي تمثله الهيئة والرجل.

ويدفع الرجل عن السنة الاتهام بمعارضة الانتخابات ويتمسك بالانتخاب بعيدا عن الاحتلال مدركا أن ظلال حرابه تصنع الحدث لا أصوات الشعب المكلوم، ويرد صفة الأقلية عن السنة فهم أغلبية لا تقل حسب تقديره عن ٦٠٪، معتبرا الحديث عن غالبية شيعية بالعراق "دعاية ادعوها وسكتنا عن مجاراتها لأسباب وطنية".

أصبحت هيئة علماء المسلمين -التي أسسها الضاري عقب الغزو الأميركي للعراق- من بين أهم القوى العراقية المناهضة للاحتلال وللعملية السياسية وكذلك للطائفية ومشاريع الأقاليم الذي دعت إليه أطراف سنية، واعتبرت أنها مشاريع تفضي إلى تقسيم البلاد.

وفاته:

توفي الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق الدكتور حارث الضاري، الخميس، بحسب ما أعلنت الهيئة في بيان نشرته على موقعها الرسمي.

وجاء في البيان "تنعى هيئة علماء المسلمين إلى أبناء الشعب العراقي، والأمتين العربية والإسلامية، وفاة أمينها العام الشيخ المجاهد والعالم الرباني حارث سليمان الضاري - رحمه الله - وأسكنه فسيح جناته." وأشار البيان إلى أن الوفاة حدثت صباح الخميس.

وقالت الهيئة إن أمينها العام الذي توفي عن ٧٣ عاما إثر مرض عضال ألم به، كان قد عاش "حياةً حافلة بالعطاء، ابتدأها بتحصيل العلم الشرعي، وتربية الأجيال وتخريج العلماء، والدعوة إلى الله، وأنهاها بالجهاد في سبيل الله، والوقوف بحزم أمام مخططات الأعداء الذين كانوا وما زالوا يتربصون بأمتنا الدوائر، ويسعون للنيل منها، وقاد في هذه السبيل مؤسسة كبيرة أوقفت جهدها وجهادها لتحرير العراق من الاحتلال وهيمنة الظلم، وعدوان الظالمين."

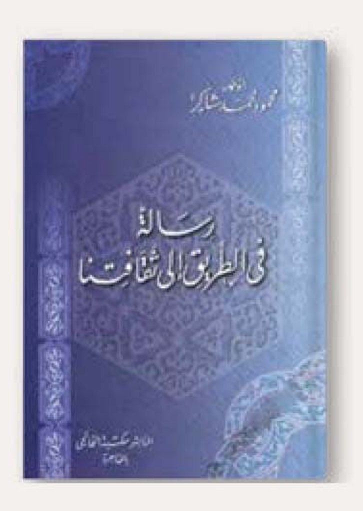
وفي ختام بيانها، جددت هيئة علماء المسلمين العهد لله عز وجل أن تبقى متمسكة بثوابتها ومنهجها ومواصلة لمسيرة الشيخ وجهاده حتى تحرير العراق، وإعادته إلى أهله وأمته بإذن الله تعالى.

نقلاً عن موقع نور سورية - بتصرف

ملخّص كتاب:

رسـالة في الطـريـق إلـى ثقـافتنـا

للأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله



هذا الكتاب دراسة معمقة جعلها كاتبها الشيخ محمود محمد شاكر مقدمة للطبعة الثالثة من كتابه (المتنبي)، سلط الضوء فيها على فترة طويلة من تاريخ أمتنا الإسلامية، بغرض إلقاء الضوء على أحداث كانت سببا في انحراف البوصلة، ومعرفة من كان يقف خلف هذه الأحداث التي أدت إلى وأد النهضة الإسلامية. وكان محمود شاكر أبو فهر يريد من خلال هذه الرسالة الكشف عن جذور الصراع التي أدت هزيمتنا فيه إلى فساد حياتنا الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية.

لم يقسم الكاتب كتابه إلى أبواب وفصول، باعتبار أن الرسالة مقدمة لكتاب سابق، فأخذ يتحدث إلى قارئه حديثا متسلسلا معتمدا إلى تقسيم الرسالة إلى فقرات، فوقع الكتاب في ٢٤ فقرة، وختم بشهادة له ولطه حسين على فساد أدب عصره وثقافته.

ويمكن تقسيم الكتاب إلى أربعة محاور هي: رحلة المؤلف إلى منهج التذوق، والصراع بين الإسلام والنصرانية الأوروبية وانتهاء بمعركة الاستشراق، ونهضة ديار الإسلام وكيف أبيدت، والتفريغ الثقافي وفساد الحياة الأدبية.

١- رحلة المؤلف إلى منهج التذوق:

يبين المؤلف في مقدمة رسالته أنه لبث عشر سنوات من شبابه في حيرة وشكوك من تلك الحياة الأدبية الفاسدة التي كان منغمسا فيها من كل وجه، فخاف على نفسه الهلاك، فأدى به الخوف إلى قراءة كل ما وقع تحت يديه من الشعر العربي بتدبر، فأكسبته هذه المرحلة تذوقا للغة الشعر. ثم هم بقراءة ما وقع تحت يديه من كتب السلف من تفسير للقرآن وعلومه، إلى دواوين السنة وشروحها وما تفرع منها من كتب المصطلح والرجال والجرح والتعديل إلى كتب الفقه وأصوله، وكتب الملل والنحل ثم كتب

الأدب والبلاغة والنحو والصرف، حتى توصل إلى ابتكار فريد موصول بمنهج آبائه وأجداده أسماه "منهج التذوق"، وهو تذوق الكلام العربي وما يقصد به وما وراءه من معان، وقد وجد أن عبد القاهر الجرجاني سبقه إلى منهج التذوق، وضرب لذلك مثالا من كلام الجرجاني يدل على منهجه في التذوق وتفرد التراث الإسلامي.

ويشير المؤلف إلى مكمن الخلاف في المناهج الأدبية القائمة، حيث يبين فسادها من جذورها، ابتداء من تسميتها بـ"مناهج"، فقد أبان عن تصوره للمنهج العلمي، أو ما يؤثر تسميته "ما قبل المنهج"، وهو ما لا يقوم المنهج إلا عليه، وهو بعبارة المؤلف ينقسم إلى شطرين، الأول في تناول المادة والثاني في معالجة التطبيق. ويقوم الشطر الأول على جمع المادة على وجه الاستيعاب، ثم التصنيف والتمحيص، ثم التحليل الدقيق. أما شطر التطبيق فيقتضي إعادة ترتيب المادة واستبعاد كل احتمال للخطأ، ووضع الحقائق في موضعها، ويزيد المؤلف أن شطر التطبيق هو الميدان الفسيح للخلاف العلمي واصطراع العقول والحجج ونشأة المناهج أو المذاهب.

ويبين أبو فهر أن أصول ما قبل المنهج تدخل أولا من طريق معرفة اللغة التي نشأ فيها صغيرا، وتدخل ثانيا من طرق الثقافة التي ارتضع لبانها يافعا، وتدخل ثالثا من طريق أهوائه التي يملك ضبطها أو لا يملكه. ثم يختم هذا المحور بتعريفه للثقافة، ويرى أن ثقافة كل أمة هي جسدها الذي يقوم به كيانها وتعرف به بين أقرانها، ورأس كل ثقافة هو الدين بمعناه العام.

٢- الصراع بين الإسلام والنصرانية الأوربية، ومعركة الاستشراق:

يرى الكاتب أن الصراع الإسلامي الأوروبي يتجسد في أمرين:

الأول: الحروب الصليبية التي استمرت قرنين كاملين ثم انتهت بالإخفاق واليأس من حرب السلاح، وذلك كان عام ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١م.

الثاني: سقوط القسطنطينية ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣، حيث أيقنت النصرانية أن المواجهة المسلحة مع الإسلام لا تفيد، فاندفعت أوروبا لمعركة أطول وأقسى هي معركة الاستشراق ثم الاستعمار ثم التبشير.

ويضيف الكاتب أن أوروبا بدأت معركتها باقتلاع الأمية، ليخرج من قلب الصراع الداخلي طبقة إصلاح، فخرج (مارتن لوثر) و(جون كلفن) و(نيكولو مكيافلي) في سبيل اليقظة ودفع المسلمين، فخرجت أوروبا من أصفاد القرون الوسطى، ودخلت في القرون الحديثة، وصاحبت الصحوة الأوربية غفلة إسلامية.

وبعد تأمل مراحل الصراع نستطيع تمييز أربع مراحل:

الأولى: صراع الغضب لهزيمة المسيحية في أرض الشام ودخول أهلها في الإسلام.

الثانية: صراع الغضب المتدفق من أوروبا مشحونا ببغضاء، بقي لقرنين في الشام.

الثالثة: صراع الغضب المكظوم نتيجة اندحار كتائب الصليب.

الرابعة: صراع الغضب بعد فتح القسطنطينية الذي صنع لأوروبا النهضة.

وعند أول بدء اليقظة تحددت أهداف المسيحية الشمالية ووسائها، فلم يغب عن أحد منهم أنهم في سبيل إعداد حرب صليبية رابعة، نحَّوا فيها السلاح إلى أن يحين حينه، ولم يبق لهم إلا سلاح العقل والعلم واليقظة والفهم، ثم المكر والدهاء وترك استثارة الإسلامي، وقد كان مدد اليقظة مستجلبا من علوم الإسلام، والسبيل إلى ذلك كان معرفة لسان العرب التي لا تتحقق إلا ببعث رجال يسيحون في أرض الإسلام، فكانت فكرة الاستشراق، فكان المستشرقون أهم طبقة تمخضت عنها اليقظة الأوروبية، وما هو إلا قليل حتى كان تحت أيديهم آلاف مخطوطات كتب دار الإسلام، وينبه المؤلف بقوله: "فلا تصدق من يقول لك إن الاستشراق قد خدم اللغة العربية وآدابها وتاريخها وعلومها، لأنه نشر هذه الكتب التي اختارها مطبوعة فهذا وهم وباطل، كانوا لا يطبعون قط من أي كتاب نشروه أكثر من خمسمئة نسخة- ولم تزل هذه سنتهم إلى يومنا هذا- توزع على مراكز الاستشراق في أوروبا، وما فضل بعد ذلك فقليل جدا".

ويضيف المؤلف أن أكثر ما كتبه المستشرقون إنما كتبوه لبني قومهم لتبشيع صورة الإسلام وأهله في عيونهم ووصم نبيه بالنقائص، وأنهم اتصفوا بصفتين: الأولى أن في قلبه الحمية التي أثارها الصراع بين المسيحية ودار الإسلام. والثانية أن في صميم قلبه كل ما تحمله قلوب خاصة الأوربيين وعامتهم من الأحلام إلى حيازة كل ما في دار الإسلام من كنوز العلم والثروة والحضارة.

كما يبين أبو فهر أن ما يفعله المستشرقون لا يمت بصلة إلى المنهج، لأن لغتهم مباينة للغتنا، وثقافتهم مختلفة عن ثقافتنا، ودينهم مغاير لديننا، وهذه كلها أدوات ما قبل المنهج.

٣- نهضة ديار الإسلام وكيف أبيدت:

تحدث المؤلف في هذا المحور عن نهضة ديار الإسلام، وتطرق إلى الحديث عن خمسة علماء أيقظوا الجماهير من غفلتها، وهم عبد القادر بن عمر البغدادي صاحب خزانة الأدب، ومحمد بن عبد الوهاب، وحسن بن إبراهيم الجبرتي (الكبير) العقيلي، ومحمد بن عبد الرزاق الحسيني المرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس، ومحمد بن علي الخولاني الشوكاني الزيدي.

يشير المؤلف إلى أن أوروبا خشيت أن تقوم نهضة في قلب العالم الإسلامي كما قامت نهضتهم، فعملت على محاصرتهم ووأد يقظتهم، فأسرعت إنجلترا إلى سواحل الجزيرة العربية لإخماد صحوة ابن عبد

الوهاب، وجاء التدبير من الاستشراق الفرنسي لإخماد يقظة الديار المصرية، إذ قيض الله لفرنسا قائدا محنكا هو نابليون فهوى على مهد اليقظة ووضع خطة محكمة تتضمن إقناع المشايخ أن هدف الحملة الفرنسية هو محاربة المماليك وظلمهم، وإثارة الأقباط ضد المسلمين، وتدجين العلماء، وتفقير الشعب، وسرقة الثروة الفكرية للبلاد.

وينبه أبو فهر على أن نابليون قام قبل رحيله بإنشاء ما يسمى بالديوان، وهو عبارة عن صورة هزلية لحكومة دستورية وعين عليه بعض المشايخ الذين كانت لهم هيبة عند الناس، ولكنهم في الأصل موالين للفرنسيين، فاختيروا لتنفيذ أغراض المستشرقين وتحسين صورة الصليبيين، فكان عملهم إماتة روح الجهاد، ولكن الناس استنكروا عليهم والتفوا حول صغار المشايخ من الأزهر وقاموا بثورة القاهرة.

وبعد الجلاء الفرنسي بدأ رجالات مصر يبحثون عن قائد للمرحلة العصيبة، وكان هناك رجل ذكي مكار خالط المشايخ وأظهر لهم سلامة الصدر ما خدعهم به، فولوه أمر مصر، وهذا الرجل كان بائع دخان أول أمره، ولم يكن يقرأ ولا يكتب، وهو محمد علي باشا، الذي سيطرت عليه قناصل الدول المسيحية الاستعمارية، حتى أوغروا صدره على المشايخ فكانت أول غدرة غدرها بالشيخ (عمر مكرم).

وقد قام محمد علي بمشروع استشراقي كبير، فبعث ثلة من شباب مصر ليتعلموا ويتفرنسوا في باريس، وليعودوا فيكون منهم حزب يضم إليهم غيرهم كما يشتهي نابليون في وصيته لخليفته على مصر كليبر، والحقيقة أن البعثات العلمية لم تكن نابعة من عقل محمد علي، بل كانت نابعة من عقول تخطط وتدبر لأهداف بعيدة المدى.

هلك محمد علي وبقي أولاده من بعده في قبضة القناصل والاستشراق، وعادت البعثات بقلب أوروبي وقالب عربي، وصاروا للمستعمر حزبا ينضم إليهم غيرهم، حيث كانت رغبة نابليون بإرسال بعثات من أبناء مصر قائمة على قدم وساق، حيث بدأت البعثات من عام ١٨٢٦م حتى عام ١٨٤٧م، وكانت تسير وفق المخطط المرسوم.

ولكن بتعديل بسيط قام المستشرق الفرنسي جومار بإبدال الشيوخ والمماليك من شيوخ كبار إلى شباب صغار من نجباء أبناء مصر، حتى يكونوا أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها، وكان على رأس أول بعثة أرسلت إلى فرنسا رجل إمام يصلي الصلوات الخمس، ويراقب أفراد البعثة، وهو رفاعة الطهطاوي الذي أنشأ بعد عودته من فرنسا مدرسة الألسن التي كانت تدرس الآداب الغربية والتاريخ المزور، لكي تنافس الأزهر الذي أسقط هيبة مشايخه محمد علي.

ومضت الأيام حتى جاء الاحتلال الإنكليزي عام ١٨٨٢م ووكل أمر التعليم إلى قسيس هو دنلوب، ليؤسس أصول الاحتلال ويمكن لثقافته، حيث شطر التعليم إلى ديني في الأزهر ودنيوي في المدارس، فتبع ذلك تفريغ طلبة المدارس من ماضيهم وبعث الانتماء إلى الفرعونية.

٤- قصة التفريغ الثقافي وفساد الحياة الأدبية:

ذيل محمود شاكر رسالته بشهادتين تبينان فساد الحياة الأدبية، يقول في الأولى: "شهادتي أنا من موقعي بين أفراد جيلي الذي أنتمي إليه، وهو جيل المدارس المفرغ من كل أصول ثقافة أمته، وهو الجيل الذي تلقى صدمة الدهور الأولى، حيث نشأ في دوامة من التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي"

ثم ذكر الشهادة الثانية وهي "شهادة الدكتور طه حسين من موقع الأستاذية لهذا الجيل" ورأى أن في قراءة هاتين الشهادتين منجاة من الدخول في غمار أحلام النهضة والتجديد والأصالة المعاصرة والثقافة العالمية.

وقد بيَّن في ذيل الرسالة أثر الاحتلال الإنجليزي لمصر، ويحكيه تحت عنوان "قصة التفريغ الثقافي"، فإن تفريغ الأجيال الناشئة من ماضيها سوف ينشئ أجيالا تهتك علائقها بثقافتها العربية والإسلامية، حتى يتم تفريغها كاملا من ماضيها، ثم يملأ هذا الفراغ بعلوم وآداب وفنون لا علاقة لها بماضيهم، وإنما هي علوم الغزاة وتاريخهم وآدابهم ولغاتهم.



مشـــــروع

حلقات الإقراء والإجازة بالسند

مشروع يستهدف حفاظ القرآن الكريم والمهتمين بعلم القراءات في الداخل السوري وبعض مناطق اللجوء، ويُعنى بإعداد وتخريج القراء المتقنين، وفق أفضل المعايير المتفق عليها بين علماء القراءات.

أهدافه:

- نشر الإجازة القرآنية في سورية ومناطق اللجوء.
- تأهيل الدارسين علميا وتربويا ومهاريا.
- المحافظة على الأسانيد المتصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- تزويد المؤسسات القرآنية بالكوادر المؤهلة.

إنجازاته

82
مجازًا ومجازةً
في قسمي رواية
حفص والقراءات

26
حلقة

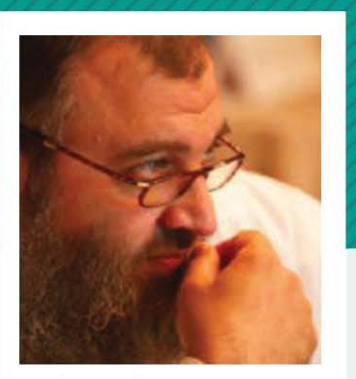
248
حافظًا
وحافظة

482
مجازًا ومجازةً
في متني الجزرية
وتحفة الأطفال









د. معن عبد القادر كوسا
أكاديمي وتربوي

نـداء إلـى أهـل الـثـورة

خطابي هذا موجه إليكم أنتم أيها الثائرون على نظام البغي والإجرام في سورية، والمتبرؤون من أفعاله وقبائحه.

هناك متطلبات أساسية لإسقاط النظام و-الأهم من ذلك -لبناء سوريا بعده.

وعلى رأس هذه المتطلبات قدرتنا على التواصل والتفاهم والعمل المشترك في الدوائر العامة التي لا نختلف فيها.

إن هناك تباينًا لا يمكن تجاهله في صفوفنا:

منا المتمسكون بدينهم، ومنا المفرطون فيه ... وبينهما درجات.

ومنا من لاقى صنوف التضييق والأذى من النظام قبل الثورة، ومنا من كان منتفعًا من النظام بإظهار الولاء له والانتماء لحزبه ... وبينهما درجات.

ومنا من ناصر الثورة من أيامها الأولى مجازفًا بكل شيء، ومنا من لم "ينشقّ" إلا بعدما ترجح لديه نهاية النظام ... وبينهما درجات.

ومنا من يبذل روحه ومهجته وماله لنصرة الثورة، ومنا من يكتفي بالتأييد "السكوتي" للثورة ... وبينهما درجات.

وهذا التباين ليس بدعاً في البشر، بل ذكر الله التباين بين المسلمين في قوله { ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ } ، ولاشك أن هؤلاء المتباينين لا يستوون عند الله ولا عند الناس، فإذا كان الله ميّز بين طائفتين كلّهم جاهدوا وأنفقوا "لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا" فكيف بمن كان التباين بينهم أشد؟

إلا أنه لا مناص لنا جميعاً -نحن أهل الثورة -من التواصل، والتفاهم، واعتراف بعضنا بوجود البعض الآخر، وإنّ أيّ سلوك من بعضنا -اعتداداً منه بقوته، أو تاريخه، أو كثرة أتباعه -لإلغاء البعض الآخر أو تهميشه أو إقصائه، يضرُّ بنا جميعاً، ويؤخر نصرنا على عدونا، ويشغلنا بأنفسنا بدل أن ننشغل بما فيه خيرنا وصلاح مجتمعنا.

وهاكم ثلاث مقدمات هي من صميم منهجنا الإسلامي الأصيل، لعلنا نستعين بها على إيجاد مناخ نفسي يساعد على كسر الحواجز بيننا وتعزيز التواصل في هذه المرحلة العصيبة:

١-أنّ الله يعذر الناس بأعذار كثيرة، يعذرهم بالجهل، والخطأ، والنسيان، والإكراه، والتأويل، فليعذر بعضُنا بعضاً بما عذرهم الله به حين نجد إلى ذلك سبيلاً، وحين يشتبه علينا الأمر، فلأن نخطئ في العفو خير من أن نخطئ في العقوبة.

قبل فترة حضرت في أحد المخيمات التركية مشادة بين شاب في العشرينيات ورجل قارب الستين، وكلاهما يقوم بعمل نافع في المخيم في مجال من المجالات الحيوية التي يحتاجها اللاجئون. فلما احتدم



النقاش بينهما عيّر الشابُّ الرجلَ الكبير بأنه كان عضواً بارزًا في حزب البعث.

نحن -السوريين -نعلم أن الانتساب إلى حزب البعث كان مغرياً جدًّا، وفي كثير من الحالات تُحرم من حقوقك إن لم تكن منتسباً إليه.

نعم، هناك أناس أصحاب مواقف مبدئية رموا بكل هذه الإغراءات وراء ظهورهم، وفضلوا أن يُحرموا من حقوقهم على أن ينتسبوا للحزب، لكن -أمام المغريات التي يقدمها الحزب – ليس كل من انتسب إليه سيئاً لا خير فيه.

يقول نيلسون مانديلا في رسالة وجهها إلى الثوار العرب:

"يبدو لي أن الاتجاه العام عندكم يميل إلى استثناء وتبكيت كل من كانت له صلة قريبة أو بعيدة بالأنظمة السابقة...

أنا أتفهم الأسى الذي يعتصر قلوبكم وأعرف أن مرارات الظلم ماثلة، إلا أنني أرى أن استهداف هذا القطاع الواسع من مجتمعكم قد يسبب للثورة متاعب خطيرة ..

عليكم أن تتذكروا أن أتباع النظام السابق في النهاية مواطنون ينتمون لهذا البلد، فاحتواؤهم ومسامحتهم هي أكبر هدية للبلاد في هذه المرحلة، ثم إنه لا يمكن جمعهم ورميهم في البحر أو تحييدهم نهائياً".

وختم رسالته بقوله: "أتمنى أن تستحضروا قولة نبيكم: اذهبوا فأنتم الطلقاء".

٢-أن خلافاتنا وتبايننا لا تمنعنا من التعاون فيما هو مصلحة مشتركة لنا، فالتعاون مداره على الموضوع لا على حال الناس، فما كان مصلحة وبرًّا وتقوى فنحن مأمورون بالتعاون فيه {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى}

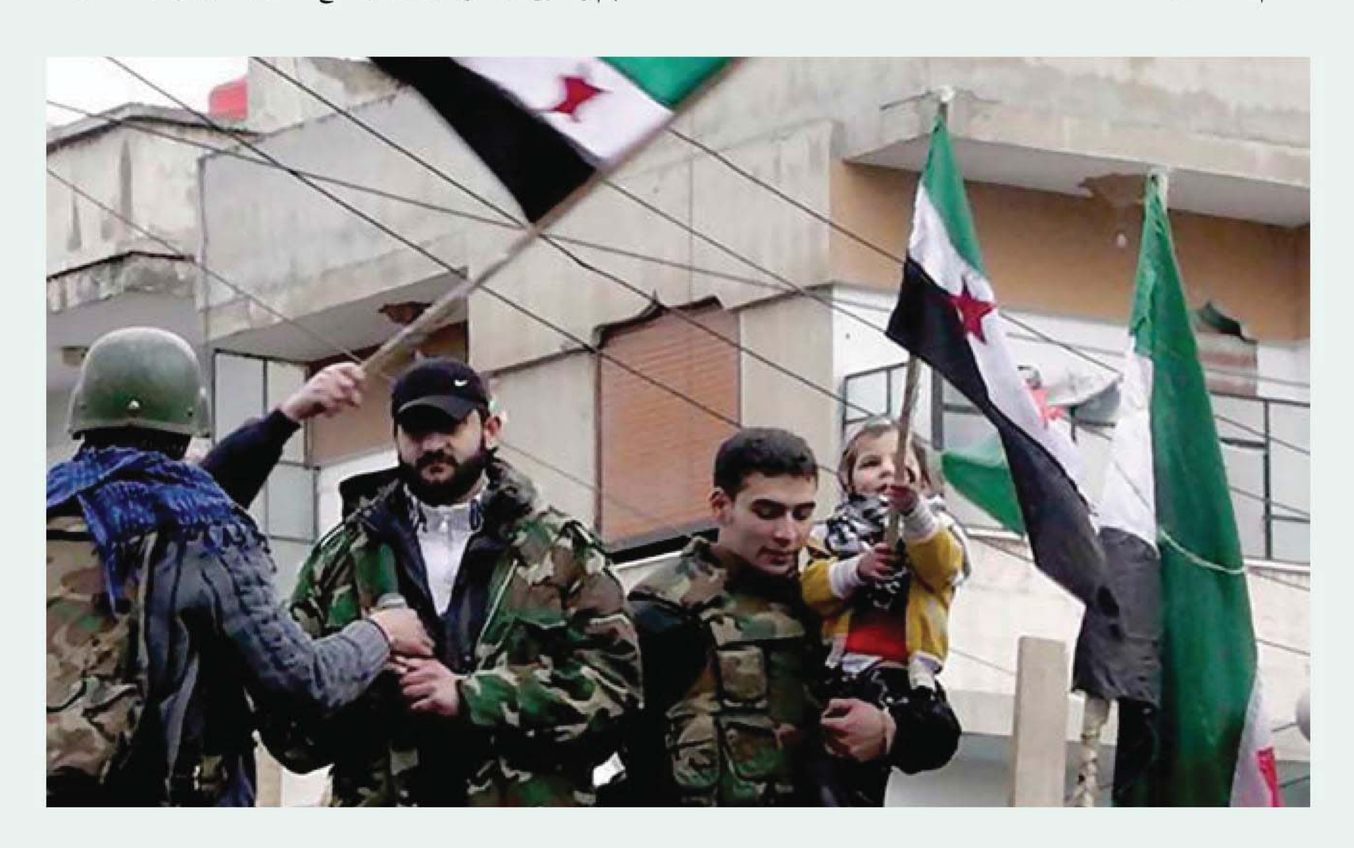
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ، لو دعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها ، وأن لا يعد ظالم مظلوماً"

وبين الأطياف المتباينة من أهل الثورة مجالات كثيرة للتعاون هي من البر والتقوى، وإن مرحلة بناء الدولة لا يطيقه فصيل واحد مهما بلغ، ومالم يقبل بعضنا البعض الآخر ويتعاون معه فستفوت مصالح كثيرة ويعود الضرر في ذلك علينا جميعاً.

٣-كثير من خلافاتنا – عند التحقيق – خلافات سائغة لا تثريب فيها على أحد. وحين يكون الخلاف سائغاً فإن صاحبه لا يُؤثَّم ولا يُفسَّق، بل يُصحّح فعله والآثار المترتبة عليه، بل ربما ساغ تبنّي رأيه حين يكون في الرأي الآخر حرجٌ وعنت.

يا أهل الثورة، تراحموا فيما بينكم عسى أن تدركنا رحمة الله، فـ " الراحمون يرحمهم الرحمن "

اللهم ردّنا إلى دينك ردّاً جميلاً، وأصلح ذات بيننا، واهدِ ضالنا. آمين.



صناعة الوعي

برنامج حواري فكري يتناول أهم النوازل في الساحة الإسلامية عموماً والساحة السورية بشكل خاص، وقد ضمّ البرنامج خمس سلاسل، تناولت السلسلة الثانية منها (مفاهيم في السياسة الشرعية والدولة الحديثة وتطبيقاتها على الساحة السورية) مع الدكتور عمار العيسى عضو المكتب العلمي في هيئة الشام الإسلامية.



رابط البرنامج على يوتيوب

https://goo.gl/izNVjK







نور الشام ترحب بمشاركتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم ..

للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم

contact@islamicsham.org

www.islamicsham.org
islamicsham1 islamicsham
@islamicsham islamicsham